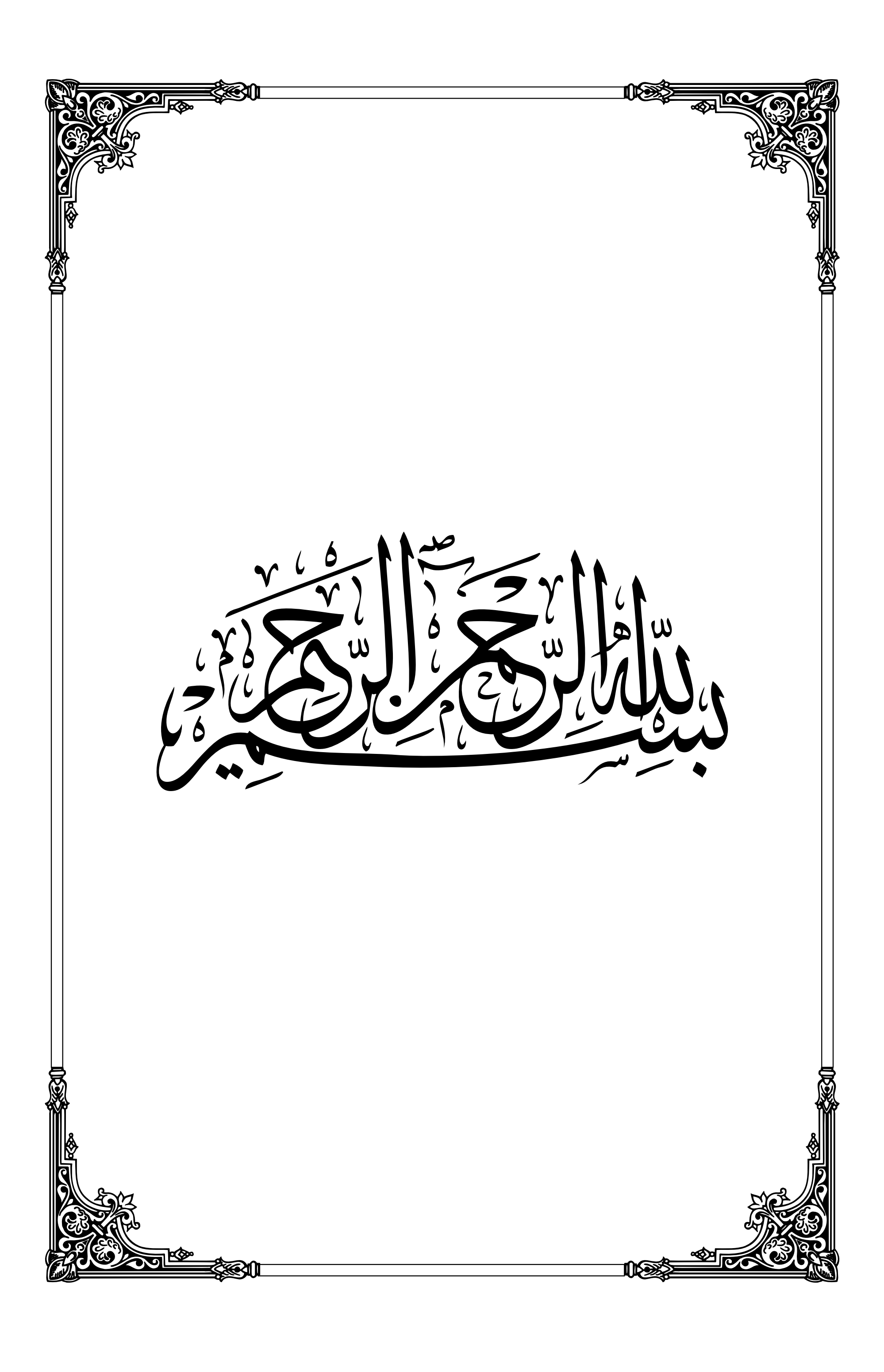
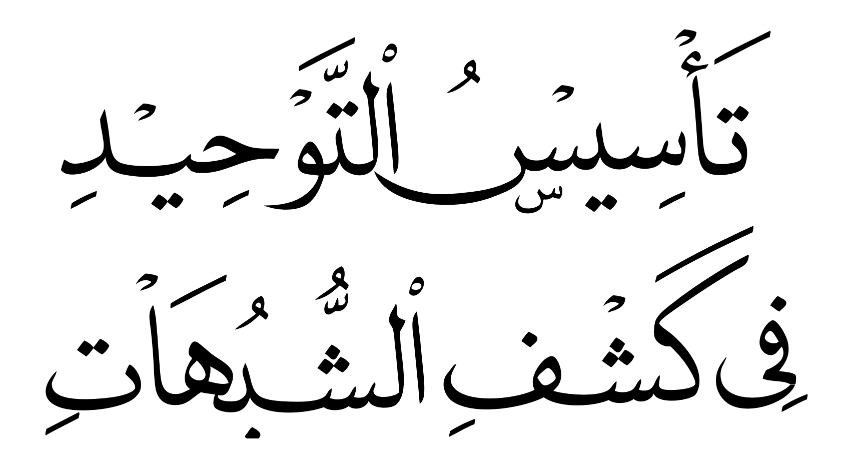

بسم الله الرحمن الرحيم



تأليف

حمد بن إبراهيم العثمان

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن كتاب «كشف الشبهات» للإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أبدع ما كُتب في دفع شبهات القبوريين والمتعلقين بغير الله، لذلك رغبت في إبراز ما في هذا الكتاب من إبداع في التصنيف، وقوة في محاجة المبتدعين، وكمّلت ذلك بإبراز حقيقة دعوة الشيخ «محمد بن عبدالوهاب» رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكشف الشبهات هو في الحقيقة مُضمّن في كتاب «التوحيد»، لمن تأمل ذلك جيداً، إلا أن طريقة كتاب التوحيد هي طريقة المحدثين كالإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتبويب وآية وحديث وأثر صحابي وتابعي، ولذلك قام الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإفراد الشبهات التي يتعلق بها عباد القبور في مصنف خاص والرد بالشرح على تلك الشبهات ونقضها.

كتاب «كشف الشبهات» شرحه مشايخنا العلماء الأجلاء كالإمام عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وشيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والعلامة صالح الفوزان حفظه الله، وهكذا سائر إخوانهم العلماء وطلبة العلم.

وقد انتفع كثير ممن قرأ «كشف الشبهات» وشروحاته في التحقق بمعنى التوحيد، ومعرفة فساد شبهات عبّاد القبور، وتبيّن لهم ما بين شرك السابقين والمعاصرين من تشابه القلوب والشبهات ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

كتاب «كشف الشبهات» في الحقيقة هو كتاب «مناظرة» نافع جداً في تثبيت الموحدين وهداية الضالين من عبّاد القبور، نافع جداً في تعليم طالب العلم كيفية محاجة أهل البدع، ونصرة الحق.

كتاب «كشف الشبهات» هو في الحقيقة نصيحة للمسلمين في تصحيح عقائدهم، وهكذا عامة كتب الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد نفع الله بها في إصلاح عقائد المسلمين في جزيرة العرب وسائر أمصار المسلمين، بخلاف من غش المسلمين لجهله وتعامله أو سوء قصده أو عجزه عن الصبر على دعوة الحق فأخذ يبرر الشرك كما فعل د. صلاح الصاوي في تبرير الاستعانة بالموتى في كتابه «الثوابت والمتغيرات».

من أجل هذا قصدت إلى بيان منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيهذا الكتاب المبارك «كشف الشبهات»، وقد كان هذا الكتاب مقدمةً وسببا لتأليف الكتاب الآخر «منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد»، اسأل الله عز وجل السداد والتوفيق.

والحمد لله رب العالمين.

أهمية كشف الشبهات

القلب إذا لم يكن زكياً وكان مليئاً بشبهات الشرك والتعلق بغير الله فإن مثل هذا القلب حقائق التوحيد فيه لا يمكن أن تقوى إلا بإزالة ما فيه من دغل الشبهات وإبدالها بحقائق التوحيد والثقة بالله والتوكل عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨هـ)[١]: «ولا بد مع ذلك أن يكون القلب زكياً صافياً سليماً حتى يزكو فيه العلم، ويثمر ثمراً طيباً، وإلا فلو قبل العلم وكان فيه كدر وخبث أفسد ذلك العلم، وكان كالدغل في المزدرع، إن لم يمنع الحب من أن ينبت، منعه من أن يزكو ويطيب، وهذا بيّن لأولي الأبصار».

وكشف شبهات الشرك ضرورة لأن التوحيد ليس مجرد إثبات، فمجرد الإثبات لا يمنع المشاركة، فالتوحيد ركناه: النفي، والإثبات، (لا إله إلا الله): نفي الألوهية الباطلة لغير الله، وإثبات الألوهية الحقة لله. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

---

(١) الفتاوى الكبرى (٥/ ٥٤).

والنبي ﷺ كان يزيل الشبهات من قلوب المدعوين عموماً في كل أمر سواء ما يتعلق بالتوحيد أو غيره، لأن الشبهات تزرع الباطل وتورث صاحبها العقائد الفاسدة.

من ذلك أن أعرابياً قال: يا رسول الله! ما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء، فيجيء البعير الأجرب، فيدخل فيها فيجربها كلها؟

فقال ﷺ: «**فمن أعدى الأول**»[(١)].

قال الشيخ يحيى العمراني رحمه الله (ت: ٥٥٨هـ)[(٢)]: «فقمعه بالحجة من حيث علم زوال الشبهة عنه، ولم يقتصر على قوله: إن الله يخلق الداء».

والأصل في كشف الشبهات والتحذير من الشر حديث **حذيفة** رضي الله عنه **قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت سأله عن الشر مخافة أن يُدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاء الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، فقلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن**[(٣)].

---

(١) رواه البخاري كتاب الطب باب لا عدوى (ص ١٠١٩ - رقم ٥٧٧٥)، ومسلم كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة (ص ٩٨٥ - رقم ٥٧٨٨).
(٢) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (١/ ٩٥).
(٣) رواه البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام (ص ٦٠٥ - رقم ٣٦٠٤)، ومسلم كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (ص ٨٢٩ - رقم ٤٧٨٤).

قال الوالد العلامة صالح الفوزان حفظه الله[1]: «فلا بد أن تتعلم الخير وإلى جانبه تتعلم ما يضاده ويخالفه، وهذا بخلاف ما ينادي به اليوم الكثير من الجهّال والمضللين والمغرضين الذين يقولون: علّموا الناس التوحيد، وعلّموهم الصلاة، وأفعال الخير، لكن لماذا تعلّمونهم نواقض الإسلام، والشرك، وتعلّمونهم عقائد الجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم، لماذا لا تقتصرون على العقائد الصحيحة، وتتركون بيان العقائد الفاسدة؟!!

وهذا جهل أو تضليل، لأنه لا يكفي تعلُّم العقائد الصحيحة، بل لا بد أن نعرف أيضاً العقائد الفاسدة والباطلة من أجل أن نجتنبها ونجنِّبها أولادنا وإخواننا، ولذلك ردّ العلماء على الجهمية والمعتزلة والمخالفين، وهذا شيء موجود، فلو أنهم سكتوا عن أهل الضلالة ولم يردّوا عليهم لراجت أفكارهم وشبهاتهم.

لم يقل العلماء: نقتصر على معرفة الخير فقط، بل وعرّفوا الناس الشر من أجل أن يجتنبوه، وتجد الآن في كتب العقائد – خصوصاً الموسَّعة – بيان العقيدة الصحيحة، وبيان ما يضادها، وإيراد الشبهات التي يُدلي بها أهل الشر من أجل الرد عليها، لئلا يغترَّ بها من لا يعرفها، وإن كان من أهل الخير، لأن الذي يجهل الشيء يوشك أن يقع فيه، ولهذا يقول الشاعر:

عرفتُ الشرَّ لا للشرِّ لكن لتوقِّيهِ ... ومن لا يعرف الشرَّ من الخير يقعْ فيهِ

(١) شرح رسالة فضل الإسلام ص ١٣١ – ١٣٣.

فـلا بـد من هذا الأمر، وهذا حذيفة رضي الله عنه وهـو صحابيٌّ جليل كان يسـأل النبـي صلى الله عليه وسلم عن الشـرِّ، ولـم ينهه الرسـول صلى الله عليه وسلم، لـم يقل له: اجتنب هذا، ولا تسأل عنه، بل أقرّه الرسول صلى الله عليه وسلم، وبيَّن له عما سأله مـن الفتن، بيَّن له صلى الله عليه وسلم الفتن، وأن الدنيـا دول، تارةً يأتي خير، وتارة يأتي شر، ويتعاقب هذا وهذا على الناس للابتلاء والامتحان».

ومعرفـة الباطل والشـر لمحاذرته ضرورة لاسـيما مـع بُعد العهد عن القرون الفاضلة، وكثرة الأهواء والضلالات المنتشـرة في الناس انتشار النار في الهشيم إلا من عصم الله.

أما من قرَّر أن العلم المجمل كاف، واسـتدل بما حصل من بعض الأعراب في زمن النبوة، فلم يُوفَّق، ذلك أن الزمان قد تغيَّر، والشرع قـد أُدخـل فيه ما ليـس منه، فليـس حال النـاس اليوم كحـال أولئك الأعراب الذين إذا أسلم من أسلم منهم لم يجد إلا الشرع المنزل.

قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله[1]: «الهـدي المُجمل لا يغنيه إن لـم يحصل هـدي مفصَّل في كل ما يأتيه ويذره من الجزئيات التي يحـارُ فـي كثير منهـا أكثر عقول الخلـق، ويغلب الهوى والشـهوات أكثـر الخلـق، لغلبة الشـبهات والشـهوات على النفوس، والإنسـان خُلـق ظلوماً جهولاً، فالأصل فيه عـدم العلم، وميله إلى ما يهواه من الشر، فيحتاج دائماً إلى علم مفصّل يزول به جهله، وعدل في محبته

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٠٠ – ٤٠١).

وبغضه، ورضاه وغضبه، وفعله وتركه، وإعطائه ومنعه، وكل ما يقوله ويعمله يحتاج فيه إلى عدل ينافي ظلمه، فإن لم يمنَّ الله عليه بالعلم المفصَّل، والعدل المفصَّل، وإلا كان فيه من الجهل والظلم ما يخرج به عن الصراط المستقيم.

وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ بعد صلح الحديبية وبيعة الرضوان: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ١ - ٣]، فأخبر أنه فعل هذا ليهديه صراطاً مستقيماً، فإذا كان هذا حاله فكيف بحال غيره».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1]: «قد علمت وربِّ الكعبة متى تهلك العرب، إذا ولي أمرهم من لمْ يصحب الرسول ﷺ، ولم يعالج أمر الجاهلية».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[2]: «فمعرفة المسلم بدين الجاهلية هو ممّا يُعرِّفه بدين الإسلام الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، ويعرِّفه الفرق بين دين المسلمين الحنفاء أهل التوحيد والإخلاص أتباع الأنبياء ودين غيرهم، ومن لم يُميز بين هذا وهذا؛ فهو في جاهلية وضلال وشرك وجهل».

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٤/ ١٢٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٢٨)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق ص ١٣٩.

ولذلك يُبين العلماء أن جهل الناس بمقالات المبتدعة هو الذي أورثهم تنزيل المبتدعة وأهل السنة منزلة سواء، وأورثهم الجهل بأسباب ذكر العلماء الأحكام اللائقة ببدعهم.

وقد أغلظ البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ القول في الجهمية وكفَّرهم، وبيَّن أن من لا يغلظ القول فيهم، ولا يكفِّرهم إنما هو لجهله بحقيقتهم، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس، فما رأيت أضل في كفرهم منهم، وإني لأستجهل من لا يُكفرهم إلا من لا يعرف كفرهم».

وقال العلامة عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ شارحاً عبارة عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[2]: «وهذا لأن من لا يعرف الشرك، وما عابه القرآن وذمَّه، وقع فيه وأقره، وهو لا يعرف أنه الذي عليه أهل الجاهلية، فينتقض بذلك عرى الإسلام، ويعود المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والبدعة سنة، والسنة بدعة، ويُكفَّر الرجل بمحض الإيمان، وتجريده التوحيد، ويُبدَّع بتجريده متابعة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومفارقته الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً، والله المستعان».

❊ ❊ ❊

---

(١) خلق أفعال لعباد (رقم ٣٥، ص ١٩).
(٢) عيون الرسائل (٢/ ٧٢٧).

تأسيس التوحيد
بعد كشف شبهات الشرك

أول مـا ينبغي علـى الداعية إلى الله سـلوكه لهدايـة الناس معرفة أحـوال المدعويـن، وهـذا منهج نبـوي واضح، فـإن النبي ﷺ لما أرسـل معـاذ بن جبـل رضي الله عنه إلى اليمن، قـال له: «إنك تأتـي قوماً أهل كتاب»[1].

قال شـيخنا العلامة محمد العثيمين رحمه الله[2]: «وذلك من أجل أن يسـتعد لهم ويعرف ما عندهم من الكتاب حتى يرد عليهم بما جاءوا به».

فإن تبين أن القوم المدعوين أهل توحيد عظَّم التوحيد في قلوبهم، وعزّز فيهم حماية جناب التوحيد وسد ذرائع الشرك، وأوصاهم بنشر الحق وتعليمه من حولهم.

وإذا تحقـق أنهم مُلمّون بما يضاد أصل التوحيد أو كماله، أزال ما في نفوسهم من شبهات اعتقاد الباطل والخروج عن مقتضى التوحيد،

(١) رواه البخاري كتاب المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع (ص ٧٣٦ - رقم ٤٣٤٧)، ومسلم كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (ص ٣١ - رقم ١٢١).

(٢) شرح كشف الشبهات ص ٦٦.

لأن هؤلاء لا يصلح أن يكتفى بدعوتهم إلى تعظيم الله والثقة به والتوكل عليه، وقلوبهم ممتلئة من شبهات البدع والضلال، التي توجب إصرارهم على باطلهم والاسترواح لأعمالهم واعتقاداتهم المخالفة لأصل التوحيد أو كماله.

فالمبتدع لا بد أولاً من نصحه في باطله، ثم تأسيس الحق في اعتقاده بعد إزالة ما في ذهنه من شبهات الباطل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨هـ)[١]: «فإن المبتدع الذي بنى مذهبه على أصل فاسد متى ذكرت له الحق الذي عندك ابتداءً أخذ يعارضك فيه، لما قام في نفسه من الشبهة. فينبغي إذا كان المناظر مدعياً أن الحق معه أن يبدأ بهدم ما عنده، فإذا انكسر وطلب الحق فأعطه إياه، وإلا فما دام معتقداً نقيض الحق لم يدخل الحق إلى قلبه، كاللوح الذي كُتب فيه كلام باطل، امحه أولاً، ثم اكتب فيه الحق».

وقال العلامة عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ رحمه الله[٢]: «اعلم أن من تصور حقيقة أي شيء على ما هو عليه في الخارج

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٥٩).
(٢) منهاج التأسيس ص ١٢، ط. دار الهداية – الرياض.

وعـرف ماهيته بأوصافها الخاصة عرف ضـرورة ما يناقضه ويضاده، وإنمـا يقع الخفاء بلبس إحدى الحقيقتيـن، أو بجهل كلا الماهيتين، ومـع انتفـاء ذلك وحصـول التصور التـام لهما لا يخفـى ولا يلتبس أحدهما بالآخر.

وكم هلك بسبب قصور العلم وعدم معرفة الحدود والحقائق من أمة، وكم وقع بذلك من غلط وريب وغمة.

مثال ذلك: أن الإسلام والشرك نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، والجهـل بالحقيقتيـن أو إحداهما أوقـع كثيراً من الناس في الشـرك وعبـادة الصالحيـن، لعـدم معرفـة الحقائـق وتصورها، وأن يسـاعد الجهـل وقصور العلم عوائد مألوفة اسـتحكمت بهـا البلية وتمكنت الرزية».



بصيرة الإمام في كشف الشبهات

من خلال تفحص ما كتبه الإمام نجده دقيق النظر في كشف الشبهات، وهو دال على تضلعه بالعلم الشرعي، ومعرفته بواقع مذاهب الناس ومنتحلات المبتدعة.

وقوته في كشف الشبهات بأنواعها واضح في مصنفاته كلها، وفي مصنفه الخاص «كشف الشبهات» كذلك.

فمن قوة تنظيره في كشف الشبهات عموماً، أنه بدأ بكشف الشبهات الكلية التي هي كالبنيان لقواعد الضلال والابتداع، من ذلك كشفه لأم الشبهات التي أوقعت كثيراً من الناس في أودية الضلال والابتداع، حيث قال رحمه الله[1]: «رد الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة، واتباع الآراء والأهواء المتفرِّقة المختلفة، وهي: أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق، والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا أوصافاً لعلها لا توجد تامَّة في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فإن لم يكن الإنسان كذلك؛ فليُعرض عنهما فرضاً حتماً لا شك ولا إشكال فيه، ومن طلب الهدى منهما فهو إما زنديق، وإما مجنون لأجل صعوبة فهمهما، فسبحان الله وبحمده كما بيَّن الله سبحانه شرعاً وقدراً، خلقاً وأمراً في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى بلغت إلى حدِّ الضروريات العامَّة؛ ولكن أكثر الناس لا يعلمون:

---

(١) ستة أصول عظيمة ص ٢٦.

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١﴾ [يس: ٧ - ١١]».

ومن كليات الشبهات التي تضاد حق الله الخالص التي دحضها الإمام في رسالته الخاصة «كشف الشبهات» تعلل المشركين باتخاذ الأصنام وسائط لجلب المنفعة لهم ودفع المضرة عنهم، حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وآخر الرسل محمد ﷺ، وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده، مثل: الملائكة، وعيسى، ومريم، وأناس غيرهم من الصالحين، فبعث الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهما».

ومن بصيرته فيما كتبه في «كشف الشبهات» هو أنه أتى أولاً على شبهات عباد القبور وأزال ما فيها من تلبيس ثم أخذ يبين حق الله الخالص في القصد والطلب وإفراده بالدعاء والعبادة دون اتخاذ

(١) كشف الشبهات ص ٢٥، بشرح العلامة صالح الفوزان حفظه الله.

الوسـائط، فأزال الباطل والضلال وأظهر الحق بعد كشـف تلبيسات دعاة الضلال.

وهذا من جودة تصنيفه، فإن النصيحة في مناظرة أهل الباطل تقتضي إزالة ما في أذهانهم من شبه الباطل أولاً حتى لا تكون حائلاً عن قبول الحـق، فإذا هـدم المناظـر أركان المذهب الباطل، بدأ بعـد ذلك ببناء المذهب الصحيح وإقامة أركان الحق بأدلته من الكتاب والسنة.

قـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة رحمه الله[١]: «فـإن المبتدع الـذي بنى مذهبه على أصل فاسـد متى ذكرت له الحق الذي عندك ابتداءًا أخذ يعارضك فيه، لما قام في نفسه من الشبهة.

فينبغـي إذا كان المناظر مدعياً أن الحق معه أن يبدأ بهدم ما عنده، فإذا انكسر وطلب الحق فأعطه إياه، وإلا فما دام معتقداً نقيض الحق لـم يدخل الحق إلى قلبـه، كاللوح الذي كُتب فيـه كلام باطل، امحه أولاً، ثم اكتب فيه الحق».

وهـذا المنهـج تجـده واضحاً فـي مصنف إمـام الدعوة «كشـف الشـبهات»، حيـث أزال أولاً شـبهات الضـلال ثم أقام بنيـان الحق، فقـال الإمـام محمد بـن عبدالوهـاب رحمه محـاوراً ومناظـراً عباد القبور[٢]: «فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الالتجاء إليهم – الموتى والمخلوقين – ودعاؤهم ليس بعبادة.

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٥٩).
(٢) كشف الشبهات ص ٨٠ – ٨١.

فقل له: أنت تقر أن الله افترض عليك إخلاص العبادة لله وهو حقه عليك، فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها، فبيّنها له بقولك: قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

فإذا أعلمته بهذا، فقل له: هل علمت أن هذا عبادة لله؟ فلا بد أن يقول: نعم، والدعاء مخ العبادة: فقل له: إذا أقررت أنه عبادة ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً، ثم دعوته في تلك الحاجة نبياً أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلا بد أن يقول: نعم».

وأنت كما ترى قوة جواب الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن شبه عُبّاد القبور، فهذا يدل على رسوخه في العلم ونصحه للأمة، خلافاً لمناظرات المبتدعة والمتكلمين فهم: لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا، وكانت أجوبتهم ضعيفة أوجبت استطالة أهل الباطل وشغبهم بأهل الحق، وأوجبت بقاء المبتدعة على بدعهم لأنهم لم يوفقوا لمن يأخذ بأيديهم إلى الحق ويبيّنه لهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أشباه هؤلاء[١]: «ومما يُعجب منه أن بعض المنكرين لمجادلة الكفار بناء على ظهور دلائل النبوة نجده هو ومن يُعظمه من شيوخه الذين يعتمد في أصول الدين على نظرهم ومناظرتهم، ويزعمون أنهم قرروا دلائل النبوة قد أوردوا من الشبهات والشكوك والمطاعن على دلائل النبوة ما يبلغ نحو ثمانين

(١) الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح (١/ ٧٧).

سؤالاً، وأجابوا عنه بأجوبة لا تصلح أن تكون جواباً في المسائل الظنية، بل هي إلى تقرير شبه الطاعنين أقرب منها إلى تقرير أصول الدين، وهم كما مثّلهم الغزالي وغيره ممن يضرب شجرة ضرباً يزلزلها به، وهو يزعم أنه يريد أن يثبتها».

وهنا لا بد من ذكر حجة الإمام في مصنفه «كشف الشبهات» في دفع شبهات القبوريين، قال شيخ الإسلام إمام الدعوة محمد بن عبدالوهاب رحمه الله[1]: «وأما الجواب المفصّل: فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل، يصدّون بها الناس عنه:

منها قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن عبدالقادر أو غيره، ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله وأطلب من الله بهم. فجاوبه بما تقدم وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرّون بما ذكرت، ومقرّون أن أوثانهم لا تدبّر شيئاً وإنما أرادوا الجاه والشفاعة، واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه، فإن قال: هذه الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام، أم تجعلون الأنبياء أصناماً؟ فجاوبه بما تقدم، فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة، ولكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر فاذكر له أن

(١) كشف الشبهات ص ٧٣ – ٧٥.

الكفار منهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ [الإسراء: ٥٧] الآية، ويدعون عيسى بن مريم وأمه وقد قال الله تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [المائدة: ٧٥ - ٧٦]، واذكر قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤١]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١١٦]، فقل له: أعرفت أن الله كفَّرَ من قصد الأصنام وكفَّر أيضاً من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول الله ﷺ، فإن قال: الكفار يريدون منهم، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر، لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم، فالجواب: أن هذا قول الكفار سواءً بسواء، واقرأ عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ [يونس: ١٨].

واعلـم أن هذه الشـبه الثـلاث هي أكبر ما عندهم، فـإذا عرفت أن الله وضَّحها في كتابه، وفهمتها فهماً جيداً، فما بعدها أيسر منها».

ومن بصيرة إمام الدعوة في مصنفه «كشف الشبهات» أنه أتى بهذا الجـواب المفصّـل الذي ذكرناه بعد أن ذكـر أولاً الجواب المجمل، وفائـدة ذلك واضحة بيِّنـة، فمع ما فيها من تشـويق، فيها أيضاً تدرج فـي البيان، وبيان من أين دخل الخلـل على عباد القبور بياناً عاماً، ثم التفصيل في كشف شبهات ضلالهم غاية في التوضيح والبيان.

قـال إمام الدعوة شـيخ الإسـلام محمد بـن عبدالوهاب رحمه الله[1]: «جواب أهل الباطل من طريقين: مجمل ومفصّل، أما المجمل، فهو الأمـر العظيـم والفائدة الكبيـرة لمن عقلها، وذلـك قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾ [آل عمران: ٧]، وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشـابه منه، فأولئك الذين سـمّى الله، فاحذروهم**»».

ومن بصيرة الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في كتابه «كشـف الشـبهات» وعمـوم كتبه أنه لا يذكر شـبهةً إلا ويدحضهـا، لأن إيراد الشـبه على الناس دون ردّها ودحضها، قد يحصل بسببه رسوخ هذه الشبهة في قلوب الناس، وتزلزل تبعاً لذلك عقائدهم.

(١) كشف الشبهات ص ٦٥ – ٦٦.

فيجب على العالم أن لا يدع شبهة حكاها عن صاحبها إلا رد عليها، فقد يقرأها من لا علم له بفسادها والجواب عنها، فتعلق في قلبه فتُفسده، وأقل الأحوال تجعله في شك وريب، ويتجدد خاطر هذه الشبهة على قلبه مرات دون أن يجد لها جواباً فتمرض قلبه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[١]: «قد يستضر من عرف الشبهة ولم يعرف فسادها».

فالإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله لمّا ذكر أم الشبهات في شرك عباد القبور، وأنهم يتخذون الموتى وسائط بينهم وبين الله في قضاء حاجاتهم، أجاب عن هذه الشبهة ودحضها، حيث ذكر أن مشركي قريش إنما قاتلهم رسول الله ﷺ ليكون الدعاء كله لله، والنَّذر كله لله، والاستغاثة كلها لله، وجميع أنواع العبادة كلها لله.

وقال[٢]: «إن قصدهم الملائكة والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم، عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون.

وهذا التوحيد هو معنى قولك: لا إله إلا الله، فإن الإله عندهم هو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجرة أو قبراً أو جنياً.

---

(١) منهاج السنة (٥/ ٢٨٣).
(٢) كشف الشبهات ص ٤١ – ٤٤، بشرح العلامة الفوزان.

لـم يريـدوا أن الإله هو الخالـق الرازق المدبِّر، فإنهـم يعلمون أن ذلك لله وحده، كما قدمت لك».

وانظر إلى كتاب «التوحيد» وكيفية بيانه للتوحيد وكشفه لكل ما يضاد أصـل التوحيد أو كمالـه، نصحاً وبياناً على حد قـول النبي ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل**»(١).

وركنـا التوحيد فـي الإثبات والنفـي، إثبات الألوهيـة الحقة لله، ونفـي الألوهيـة الباطلة لـكل ما يُعبد مـن دون الله هـو حقيقة كتاب «التوحيـد» الذي صنَّفـه الإمام محمد بـن عبدالوهاب رحمه الله، وهذا ما أشار إليه الإمام صراحة في باب [تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله]، حيث قال في خاتمة هذا الباب: «وشـرح هذه الترجمة: ما بعدها من الأبواب»(٢).

وأبواب التوحيد إذا تأملتها وجدتها كلها جارية على تقرير الحق ودفع الباطل ورد شـبهاته، فانظر مثلاً كيف حذَّر من شرك لبس التمائم حيث ذكر في باب (ما جاء في الرُقى والتمائم)(٣)، حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرُّقى والتمائم والتِّولة شرك**»(٤).

---

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (ص ٣٣ – رقم ١٣٠).

(٢) كتاب التوحيد ص ١٥.

(٣) كتاب التوحيد ص ١٧.

(٤) رواه أحمد (١/ ٣٨١)، وأبو داود كتاب الطب باب في تعليق التمائم (ص ٥٥٢ – رقم ٣٨٨٣)، وصححه ابن حبان (٧/ ٦٣٠).

ثم بيَّن في الباب نفسه الحكم الكوني بعد الحكم الشرعي خلوصاً في النصيحة، فبيَّن أن الرقى الشركية في الواقع لا تنفع صاحبها، فلا تجلب له منفعة ولا تدفع عنه مضرة، وأن من تعلَّق التمائم مع أنه واقع في الشرك فإنه يقع له ضد مقصوده، وذلك لأمور:

١. أن الله لا يصلح عمل المفسدين.

٢. أن الله أخبر أن عاقبة الشرك الذل والهوان، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١ - ٨٢].

٣. أن العظة في الواقع حاضرة في أسلافهم من العرب، فإنهم كانوا إذا نزلوا وادياً استعاذوا بسيد الجن من قومه، فزادوهم رهقاً، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

٤. أن النبي ﷺ دعا على من تعلق التمائم أن لا يُتمّ الله له، حيث قال ﷺ: «**من تعلَّق تميمة فلا أتمَّ الله له**»[(١)].

٥. بيان النبي ﷺ أن كل من سوى الله فهو ضعيف مفتقر إلى الله، فالعقلاء يتوكلون على القوي العزيز، النافع الضار، المحي المميت، لا يتوكلون على مخلوق ضعيف مثلهم، أو أوهام لا حقيقة لها كلبس التمائم، فعن عبدالله بن عكيم مرفوعاً: «من تعلق شيئاً وُكِّل إليه»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٥٤)، والحاكم (٤/ ٢١٦)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أحمد (٤/ ٣١٠)، والترمذي كتاب الطب باب ما جاء في كراهية التعليق (ص ٤٧٦ - رقم ٢٠٧٢).

لذلـك علَّق العلامة عبدالرحمن بن حسـن آل الشـيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على عبارة الإمام (وشـرح هذه الترجمة – يعني كلمة التوحيد – ما بعدها مـن الأبـواب) بقولـه[١]: «فقد ذكـر فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ مـا يبيـن التوحيد وما ينافيـه، وما يقرب من الشـرك وما يُوصل إليه من الوسـائل، وبيان ما كان عليه السـلف من بُعدهم عن الشـرك في العبادة وشـدة إنكارهم لـه وجهادهـم على ذلك، وقـد جمع هذا الكتاب علـى اختصاره من بيان التوحيد ما لا يعذر أحد عن معرفته وطلبه بإقبال وتدبر، وكذلك الرد على أهل الأهواء جميعهم، فمن حفظه واسـتحضره وجد ذلك واستغنى به عن غيره في الرد على كل مبتدع».

وبصيرة الإمام محمد بن عبدالوهاب بكشـف الشبهات لم تقتصر علـى مسـائل العقيدة، بل شـملت أنـواع العلـوم الشـرعية إلى دقيق مسائل السيرة، مما يدل على أنه إمام متفنن.

فقـد أزال الشـبهة عـن توهم كفـر من قُتل مـن الصحابـة ممن لم يسـتطع الهجرة من مكة إلـى المدينة، وأكرهه الكفـار على الخروج إلـى غزوة بدر ومات بسـهام الصحابة من عسـكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث قـال[٢]: «قصة الهجـرة، وفيها من الفوائد والعبر مـا لا يعرفه أكثر من قرأهـا، ولكن مرادنا الآن مسـألة من مسـائلها، وهي أن من أصحاب

---

(١) قرة عيون الموحدين ص ٦٣.

(٢) شرح ستة مواضع من السيرة ص ٢٩٤ – ٢٩٥، الجامع الفريد.

رسـول اللـه ﷺ من لم يهاجر من غير شـك في الديـن وتزيين دين المشـركين، ولكن محبة «للأهل والمال والوطن»، فلما خرجوا إلى بدر خرجوا مع المشـركين كارهين، وقُتل بعضهـم بالرمي، والرامي لا يعرفه، فلما سـمع الصحابة أن من القتلى فلاناً وفلاناً شـق عليهم، وقالوا: قتلنا إخواننا، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٩].

فمـن تأمـل قصتهم وتأمل قـول الصحابة قتلنا إخواننـا علم أنه لو بلغهـم عنهـم كلام فـي الديـن أو كلام فـي تزيين دين المشـركين لم يقولـوا قتلنا إخوانـنـا، فإن الله تعالى قد بيَّن لهـم - وهم قبل الهجرة - أن ذلـك كفر بعـد الإيمان بقوله تعالـى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

وأبلـغ مـن هذا ما تقـدم من كلام اللـه تعالى فيهم، فـإن الملائكة تقول: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾؟ ولم يقولـوا: كيف تصديقكم: ﴿قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، لـم يقولـوا: كذبتـم، مثـل مـا يقـول الله للمجاهـد الذي يقول: جاهدت في سـبيلك حتى قُتلت، فيقـول الله: كذبت، وتقول الملائكـة: كذبت، بل قاتلت ليقال: جـريء، وكذلك يقولون للعالم

والمتصدق كذبت، بل تعلمت ليقال: عالم، وتصدقت ليقال: جواد، وأما هؤلاء فلم يكذبوهم، بل أجابوهم بقولهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾؟

ويزيد ذلك إيضاحاً للعارف والجاهل الآية التي بعدها وهي قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾، فهذا أوضح جداً، أن هؤلاء خرجوا من الوعيد فلم تبق شبهة، لكن لمن طلب العلم، بخلاف من لم يطلبه».

كما أن كشف الإمام محمد بن عبدالوهاب للشبهات في مؤلفاته لم يقتصر على شبهات أهل القبلة، وإن كان هو الأكثر لحفظ رأس مال الإسلام، بل وشمل شبهات أهل الملل، لدعوتهم إلى الإسلام لأنه الدين الذي بشَّر به النبيون عليهم السلام جميعاً، ولأنه هو الذي تحصل الرحمة لمن لزمه في الدار الآخرة فيعتق من النار.

فنجد شيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في رسالته «فضل الإسلام» عقد باباً [باب الدخول في الإسلام]، وساق فيه قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩][1].

(١) فضل الإسلام ص ٢٣.

قال الوالد العلامة صالح الفوزان حفظه الله[1]: «الإسلام: هو ما جاءت به الرُّسل عليهم الصلاة والسلام، في كل وقت بحسبه، لكنه لما بُعث محمد ﷺ صار الإسلام: هو ما جاء به محمد ﷺ.

فالإسلام معناه: الانقياد لله بالطاعة، والبراءة من الشرك وعبادته حسب ما شُرع في كل وقت، أما بعد بعثة محمد ﷺ فإنه صار الإسلام هو ما جاء به محمد ﷺ، ولا يسع أحداً أن يخرج عن طاعته ﷺ، حتى الأنبياء السابقين، لو وُجد أحد منهم بعد بعثة محمد ﷺ فإنه لا يسعه أن يخرج عن طاعة محمد ﷺ، ولهذا قال الله جل وعلا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكْمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٞ﴾، يعني محمداً ﷺ ﴿مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِيۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ٨١ - ٨٢]، فبعد بعثة محمد ﷺ انتهت الأديان السابقة، وانتهى العمل بها، ووجب العمل بما جاء به محمد ﷺ، لأن الأمر لله جل وعلا، وليس الأمر لشخص معين».

* * *

(١) شرح رسالة «فضل الإسلام» ص ٤٣ - ٤٤.

دعوة الإمام كلها كشف للشبهات

الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ناوئه أكثر الخلق في أقطار الدنيا حتى أظهر الله دعوته بعد نصرة الإمام محمد بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد تفنن المناوئون لدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تشويه دعوته وتزييف حقيقتها، إمعاناً في الصد عن سبيل الله، وإضلال الخلق، ومحاولة طمس نور الحق.

فلذلك نجد الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوته كلها تبيين لحقيقة دعوته وكشف كذب المناوئين لدعوته، الذين جهدوا أنفسهم في محاولة إظهار دعوة الإمام على أنها مذهب جديد، مبغض للرسول ﷺ، منتقص لقدره وقدر الأولياء والصالحين.

يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً فرية المفترين عليه وعلى دعوته، حيث قالوا عنه[1]: «إني مبطل كتب المذاهب الأربعة؛ وإني أقول: إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، وإني أدّعي الاجتهاد؛ وإني خارج عن التقليد؛ وإني أقول: إن اختلاف العلماء نقمة؛ وإني أُكفّر من حلف بغير الله».

وقال الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دافعاً هذا البهتان: «جوابي عن هذه المسائل، أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم؛ وقبله

(١) الدرر السنية (١/ ٣٤ – ٣٥).

من بهت محمداً ﷺ أنه يسب عيسى ابن مريم، ويسب الصالحين، فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب، وقول الزور؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل: ١٠٥]، بهتوه ﷺ بأنه يقول: إن الملائكة وعيسى وعزيراً في النار؛ فأنزل الله في ذلك: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١]».

وكذلك تكلم الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه في رد فرية التكفير التي نُسبت إليه، فقال[1]: «وأما الكذب والبهتان، فمثل قولهم: إنا نكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنا نكفر من لم يكفر، ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه؛ فكل هذا من الكذب والبهتان، الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله. وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبدالقادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما، لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله؟! إذا لم يهاجر إلينا، أو لم يكفر ويقاتل ﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٦]».

والإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله كان محباً موقراً لآل البيت يحبهم ويتولاهم، والمبتدعة الذين غلوا في الصحابة ذماً وفي آل البيت مدحاً كذبوا عليه زاعمين أن الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله يبغض آل البيت، وحاشاه من ذلك.

---

(١) الدرر السنية (١/ ١٠٤).

قال سماحة العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله مبيناً تولي الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله لآل البيت[١]: «والشيخ محمد رحمه الله وأتباعه الذين ناصروا دعوته، كلهم يحبون أهل بيت رسول الله ﷺ الذين ساروا على نهجه عليه الصلاة والسلام، ويعرفون فضلهم، ويتقربون إلى الله سبحانه بمحبتهم والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة والرضا، كالعباس بن عبدالمطلب عم رسول الله ﷺ وأبنائه، وكالخليفة الرابع الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأبنائه الحسن والحسين ومحمد رضي الله عنهم، ومن سار على نهجهم من أهل البيت في توحيد الله وطاعته، وتعظيم شريعته».

وأهل نجد كلهم يحبون آل بيت رسول الله ﷺ الأولين ويتولونهم، وهذا يعرفه عنهم كل من خالطهم.

قال العلامة محمود شكري الآلوسي رحمه الله (ت: ١٣٤٢هـ)[٢]: «وجميع أهل نجد على اختلافهم في القبائل كما أنهم يعتقدون ما سبق - في أركان الإيمان - كذلك يعتقدون في الآل والأصحاب، وما وردت به السنة والكتاب، ويؤمنون بما ورد في شأنهم من الفضائل، وما روي عنهم من الشمائل، غير أنهم طووا بساط المماراة في آل رسول الله ﷺ وأصحابه، وتركوا العصبية التي هي من أوتار الباطل وأطنابه، فأولئك الآل الكرام

(١) مجموع الفتاوى البازية (٩/ ٢٣١).
(٢) تاريخ نجد ص ٨٨ - ٨٩، ط - دار المعالي - الأردن.

هـم الذين يتميز بحبهـم إيمان المرء مـن نفاقه، والذيـن ورثوا النور المبين عمن خصه الله بإشراقه.

فالصلاة بهم تمامها، وبالصلاة عليهم ختامها، ورحمهم موصولة برحم المكارم وذمامها.

وأولئك السادات من الأصحاب الذين خلطهم بجلدته وألظّ بهم في شـدته[١]، أحبوا فيه وأبغضوا[٢]، وأنفقـوا له[٣] وأقرضوا، وفرض عليهم الصبر معه على البأساء فما أعرضوا، ولكل من هذين الفريقين مقام معلوم، وسهم في السبق والفضيلة غير مسهوم.

ولم يزل أمراؤهم وعلماؤهم يأمرون بالأخذ على ألسـنة السفهاء مـن الخـوض فيمـا شـجر بيـن آل النبـي ﷺ وأصحابـه، وإظهـار العصبيـة التي تزحزح الحق عن نصابـه، وترجعه على أعقابه، وليس مستندها إلا مغالاة ذوي الجهل، وربما نشأ منها فتنة، والفتنة أشد من القتل، فأولئك السـادات هـم النجوم الذين كان بهـم الاقتداء، وبهم كان الاهتداء، وقُصارى المسـلم في هذا الزمان أن يتعلق منهم سبباً، ويأخـذ عنهم ديناً وأدباً، لا يَبْلَغُ مُـدُّ أحدِهم ولا نصيفه ولو أنفق مثل

---

(١) الرسول ﷺ يستنصر بالله وحده في شدائده لتحققه بالتوحيد، وأما قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: ٦٤]، أي: الله كافيك وأتباعك.

(٢) يريد أنه مبلغ عن الله كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١] وإلا فالحب في الله لأنه رسول الله ﷺ.

(٣) النفقة لله، والرسول ﷺ حث عليها.

أُحُـدٍ ذهبـاً، نعـم: لا يغالون في حبهـم كحب أهل البـدع والضلالة، فذلك الذي ما أنزل الله به من سلطان ولا اقتضته الرسالة».

ومـن الافتراءات الكاذبة على دعوة الإمام محمد بن عبدالواهاب رَحِمَهُ اللَّهُ وأتباعه نسـبتهم للتشـدد خصوصـاً في عهد الدولة السـعودية الثالثـة فـي عهد الملـك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، وهذه الشـبهة أجاب عنها العلامـة حمود بـن عبدالله التويجـري رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال[1]: «التشـدد الذي أشـار إليه إنما وقع في بعض الأعراب في زمن يسـير نحو عشر سـنين، وذلك أنهم أقبلوا على الدين إقبـالاً كلياً مع الجهل الكثيف، وأقبلوا على العمل وأهملوا التعلُّم، فصار التشـدد غالباً عليهم، حتى آل الأمر ببعضهم إلى أن خلعوا أيديهم من الطاعة، وفارقوا الجماعة، وبغـوا عليهـم، وبدؤوهـم بالقتـال، فقاتلهـم الإمـام ومـن معـه من الحاضرة والبادية في عدة وقعات أولها في منتصف شـوال سنة ألف وثلاثمائة وسـبع وأربعيـن، حتى أطفأ الله فتنتهم، وكفى المسـلمين شـرّهم، فأما الحاضرة وكثير من البادية فكانوا على الطريقة السـلفية وللـه الحمد والمنّة، ولـم يكن فيهم تشـدد كمـا يزعمه بعض الناس، فإطلاق التشدد على العموم متعقب على من ادَّعاه كما لا يخفى على من له أدنى إلمام ومعرفة بحال أهل نجد، والله الموفق».



---

(١) غربة الإسلام (٢/ ٥٠٥).

الإمام أبدى وأعاد في دفع الشبهات

إذا قرأت رسالة «كشف الشبهات» للإمام محمد ابن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجدته قد دحض شبهة القبوريين في كتبه كلها، وكرر ذلك وأعاد، فما هو السر في ذلك؟

فالجواب لا يخفى على من يعرف سيرة ودعوة المرسلين، وهو لا يخفى على من يعرف الحقائق دون أن يقف على الصور ويظن أن الشرك فقط في عبادة الأصنام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «والقرآن عامته إنما هو في تقرير هذا الأصل العظيم الذي هو أصل الأصول».

وفتنة هذا العصر هو الغلو في قبور الصالحين، وسؤالها ما لا يقدر عليه إلا الله، وإقامة أنواع العبادات عندها مما لا يجوز صرفه إلا لله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع، هي أوقعت كثيراً من الأمم، إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وبتماثيل يزعمون أنها طلاسم للكواكب، ونحو ذلك.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٢٨).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٩٢ - ١٩٤).

فإن يُشـرك بقبر الرجل الذي يعتقد نبوته أو صلاحه، أعظم من أن يُشرك بخشبة أو حجر على تمثاله.

ولهذا نجد أقواماً كثيرين يتضرعون عندها، ويخشعون، ويعبدون بقلوبهـم عبادة لا يفعلونها في المسـجد، بل ولا في السَّـَحر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد التي تشد إليها الرحال.

فهذه المفسـدة – التي هي مفسـدة الشـرك، كبيرة وصغيرة – هي التـي حسـم النبـي ﷺ مادتها، حتـى نهى عـن الصلاة فـي المقبرة مطلقاً، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بركة المسـاجد الثلاثة، ونحو ذلك. كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشـمس واسـتوائها وغروبها، لأنها الأوقات التي يقصد المشركون بركة الصلاة للشـمس فيها، فينهى المسـلم عن الصلاة حينئذ – وإن لم يقصد ذلك – سداً للذريعة. فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبـور الأنبياء والصالحين، متبـركاً بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المحادة لله ورسـوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله، فإن المسـلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول اللـه ﷺ، مـن أن الصـلاة عند القبـر – أيِّ قبـر كان – لا فضل فيها لذلك، ولا للصلاة في تلك البقعة مزية خير أصلاً، بل مزية شر.

واعلم أن تلك البقعة، وإن كانت قد تنزل عندها الملائكة والرحمة، ولها شرف وفضل، لكن دين الله بين الغالي فيه والجافي عنه.

فإن النصارى عظموا الأنبياء حتى عبدوهم، وعبدوا تماثيلهم، واليهود استخفوا بهم حتى قتلوهم، والأمة الوسط، عرفوا مقاديرهم؛ فلم يغلوا فيهم غلو النصارى، ولم يجفوا عنهم جفاء اليهود، ولهذا قال ﷺ فيما صح عنه: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله**».

فإذا قُدِّر أن الصلاة هناك توجب من الرحمة أكثر من الصلاة في غير تلك البقعة؛ كانت المفسدة الناشئة من الصلاة هناك تربي على هذه المصلحة حتى تغمرها أو تزيد عليها، بحيث تصير الصلاة هناك مُذْهِبَة لتلك الرحمة، ومثبتة لما يوجب العذاب».



التهاون بالتوحيد من تلبيس إبليس

للإمـام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ التفاتات مهمة تدل على كبير علمـه، وعظيـم نصحه للناس فـي هدايتهم وصيانـة عقيدتهم، وهذا واضح في كل مصنفاته، وفي كتابي «التوحيد» و«كشـف الشبهات» على وجه الخصوص.

فإنـه في «كشـف الشـبهات» بيَّن أن أهـل الخير والفضـل قد يقع منهـم زلل فـي جناب التوحيد، فحينئذ لا ينبغـي لأحد أن يتهاون في شـأن التوحيد تحسـيناً للظن بنفسـه، بل الواجب أن يبالغ في تحقيق التوحيـد وحماية جنابه، كيـف لا، وقد كان النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم أصحابه أن يسـتعيذوا من الشـرك، ويرشـدهم إلى ما يدعون الله به مما يكون سبباً في عصمتهم منه، وكان يقول في دعائه: «**اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً أعلمه وأستغفرك لما لا أعلمه**»[1].

وخليـل الرحمـن إبراهيـم عليـه السـلام من كمـال تفطنـه لهذا الأمـر ومحاذرتـه منه وخوفـه على نفسـه وذريته أن يصيبهم شـيء منـه قال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وبوّب عليه الإمـام محمـد بن عبدالوهاب [بـاب الخوف من الشـرك] في كتاب التوحيد[2].

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٤٠٣)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٧٧ - رقم ٧١٦).
(٢) كتاب التوحيد ص ١٠.

قال إبراهيم التيمي رحمه الله[١]: «من يأمن البلاء بعد خليل الله إبراهيم».

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله (ت: ٧٧٤هـ)[٢]: «ينبغي لكل داع أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته».

فإبراهيم عليه السلام سيد الحنفاء الذي أُمر نبينا ﷺ باتباعه كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٣]، فيكون دعائه للزوم الاستقامة على التوحيد دهره كله.

قال العلامة أبو المظفر السمعاني (ت: هـ)[٣]: «أما في حق إبراهيم عليه السلام فالدعاء لزيادة العصمة والتثبيت».

وإذا كان هذا حال من ضمنت له العصمة لأنه مسدد بالوحي، فذريته أحق بالاحتياط لتوحيدهم والتحرز لعقيدتهم، لذلك قال العلامة سليمان بن عبدالله آل الشيخ رحمه الله[٤]: «وهذا يوجب للقلب الحي أن يخاف من الشرك».

والإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله أبرز هذه النصيحة في «كشف الشبهات»، وأحاط بنصحه أهل العلم والفضل فضلاً عن

(١) جامع البيان (١٣/ ٦٨٨).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١٣).
(٣) تفسير القرآن (٣/ ١١٩).
(٤) تيسير العزيز الحميد ص ١١٧.

غيرهم. فإنه ساق ما جرى من بعض الصحابة في غزوة حنين لما رأوا للمشركين سدرة - ذات أنواط - ينوطون بها أسلحتهم تبركاً، فقالوا للنبي ﷺ: «اجعل لنا ذات أنواط»، فحلف النبي ﷺ أن هذا مثل قول بني إسرائيل لموسى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ [الأعراف: ١٣٨]، ثم علَّق بقوله[١]: «هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري بها فتفيد التعلم والتحرز، ومعرفة أن قول الجهّال: التوحيد فهمناه، أن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان».

وقال الوالد العلامة صالح الفوزان حفظه الله معلقاً على كلام إمام الدعوة[٢]: «إذاً كيف يقول الجاهل: إن التوحيد يمكن تعلمه في خمس دقائق، المهم عنده البحث في أمور السياسة والكلام في الحكام وفقه الواقع كما يقولون، ومعناه رصد الوقائع الدولية وتحليلاتها والانشغال بها عن التفقه في الدين.

ومنهم من ينتقد مقررات التوحيد في المدارس والمعاهد والكليات، ويقول: لا داعي لهذه الكثافة في مقررات التوحيد، الناس مسلمون، وأولاد فطرة وبإمكان الطلاب أن يتعلموا التوحيد من البيئة الاجتماعية... إلى آخر هذيانهم الفارغ.

ولو سألت واحداً من هؤلاء عن أبسط مسألة في التوحيد ما أجابك بجواب صحيح، أعني الذين يقولون هذه المقالة».

(١) كشف الشبهات ص ١٠٣.
(٢) شرح كشف الشبهات ص ١٠٤.

كما نبّه العلامة صالح الفوزان حفظه الله إلى خطر محاكاة الكفار وضـرره علـى التوحيد من خـلال أخذ بعـض الصحابة بمحـاكاة ما شـاهدوه من الكفار من التبرك بالشـجر كما فـي حديث ذات أنواط، حيـث قال حفظه اللـه[١]: «هذه القصة فيها فوائـد: الأولى الحذر من الشرك، وأنه قد يدب إلى المسلمين عن طريق التقليد والتشبه بالكفار ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعـراف: ١٣٨]، (اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط)، ففي ذلك التحذير من مجاراة الكفار والتحذير مـن الفتن التي تنجم عن ذلك، ومن ذلك عبادة القبور التي أحدثوها وفُتنوا بها وصاروا يدعون الناس إليها».

وأي عظة وموعظة في هذين الأمرين: التهاون في شـأن التوحيد، ومحـاكاة الكفـار، أعظـم ممـا وقع بسـببهما فـي جزيـرة العرب من اسـتبدال التوحيد بالشـرك، وتحريم الحلال والمباحات، وتغيير ملة إبراهيم إلى جاهلية الشرك واتباع الهوى.

فإن الناس في جزيرة العرب كانوا على ملة إبراهيم عليه السـلام، فذهـب عمـرو بن لحـي الخزاعي إلـى الشـام فوجد أهلهـا يعبدون الأصنام ويسيبون الدواب تحريماً للانتفاع بها، فحاكاهم في شركهم وتحريمهم الحلال وجلبه لجزيرة العرب، وأفسد ملة إبراهيم.

---

(١) شرح كشف الشبهات ص ١٠٣.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨هـ)[1]: «هذا من العلم المشهور: أن عمرو بن لحي هو أول من نصب الأنصاب حول البيت، ويقال: إنه جلبها من البلقاء من أرض الشام، متشبهاً بأرض البلقاء، وهو أول من سيّب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمى الحام، فأخبر النبي ﷺ أنه رآه يجر قصبه في النار، وهي الأمعاء، ومنه سُمي القصاب بذلك، لأنها تشبه القصب، ومعلوم أن العرب قبله كانوا على ملة أبيهم إبراهيم، على شريعة التوحيد، والحنيفية السمحة، دين أبيهم إبراهيم.

فتشبه عمرو بن لحي - وكان عظيم أهل مكة يومئذ؛ لأن خزاعة كانوا ولاة البيت قبل قريش، وكان سائر العرب متشبهين بأهل مكة؛ لأن فيها بيت الله، وإليها الحج، ما زالوا معظمين من زمن إبراهيم عليه السلام، فتشبه عمرو بمن رآه في الشام، واستحسن بعقله ما كانوا عليه، ورأى أن في تحريم ما حرّمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، تعظيماً لله وديناً، فكان ما فعله أصل الشرك في العرب، أهل دين إبراهيم، وأصل تحريم الحلال، **وإنما فعله متشبهاً فيه بغيره من أهل الأرض**، فلم يزل الأمر يتزايد ويتفاقم حتى غلب على أفضل الأرض الشرك بالله عزَّ وجل، وتغيير دينه، إلى أن بعث الله رسوله ﷺ، فأحيا ملة إبراهيم عليه السلام وأقام التوحيد، وحلّل ما كانوا يحرمونه».

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٥٠ - ٣٥١).

ولعظم خطر محاكاة الكفار وتقليدهم في إفساد الأديان نهى النبي ﷺ عن الشبر في مشابهة الكفار. فقال ﷺ: «**لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن**»؟[١].

قال القاضي عياض رحمه الله[٢]: «الشبر والذراع والطريق ودخول الجحر تمثيل للاقتداء بهم في كل شيء مما نهى الشرع عنه وذمه».

وعامة ما دخل على المسلمين من النقص إنما هو بسبب ترك شيء من الشرع ومحاكاة الكفار، فالحذر من هذا الباب ضروري لصيانة أديان الناس، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله[٣]: «إن النفوس تتأسى بما تشاهده من أحوال أبناء الجنس».

وقال ابن الحاج مبيناً أثر محاكاة الكفار في تغير أحوال المسلمين[٤]: «النفوس تميل غالباً إلى ما يكثر ترداده عليها، ومن ها هنا - والله أعلم - كثر التخليط على بعض الناس في هذا الزمان لمجاورتهم ومخالطتهم لقبط النصارى - مع قلَّة العلم والتعلُّم - فأنست نفوسهم بعوائد من خالطوه، فنشأ من ذلك الفساد، وهو أنهم وضعوا تلك العوائد التي أنست بها نفوسهم موضع السُّنن».

---

(١) رواه البخاري كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٥٨٢ - رقم ٣٤٥٦)، ومسلم كتاب العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى (ص ١١٦٢ - رقم ٦٧٨١).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٣٠١).

(٣) لطائف المعارف ص ١٣٨.

(٤) بواسطة إصلاح المساجد من البدع والعوائد ص ٣٧.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨)[١]: «فقد تبين لك: أن من أصل دروس دين الله وشرائعه، وظهور الكفر والمعاصي: التشبه بالكافرين، كما أن من أصل كل خير: المحافظة على سنن الأنبياء وشرائعهم، ولهذا عظم وقع البدع في الدين، وإن لم يكن فيها تشبُّه بالكفار، فكيف إذا جمعت الوصفين؟».

فالحاصل أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاف الشرك الأكبر في حديث ذات الأنواط على الصحابة الصالحين، فنحن أحق بالخوف منهم.

وكذلك خاف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشرك الأصغر على أصحابه، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسُئل عنه، فقال: الرياء**»[٢].

قال العلامة سليمان بن عبدالله آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]: «ينبغي للإنسان أن يخاف على نفسه الشرك الأكبر إذا كان الأصغر مخوفاً على الصالحين من الصحابة مع كمال إيمانهم».

ومما يدل على وجوب محاذرة الشرك والخوف منه هو أنه غالب على النفوس إلا من عصم الله كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٥٢).
(٢) رواه أحمد (٥/ ٤٢٨)، وجوّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب ص ١٥.
(٣) تيسير العزيز الحميد ص ١١٩.

ويدل أيضاً على وجوب محاذرة الشرك والخوف منه هو إخبار النبي ﷺ بأن أمته سيقع فيها الشرك، فقد قال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**»(١).

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رحمه الله(٢): «وهذا وقع، ففي كل جهة من جهات المسلمين من يعبد القبور، ويعظِّمون أصحابها، ويسألونهم الحاجات والرغبات، ويلتجئون إليهم».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات لنساء دوس على ذي الخلصة**»(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى**»(٤).

فالحرب بين الشيطان والإنسان ما زالت قائمةً لم تضع أوزارها، فواجبنا تحذير الناس من الشيطان الذي يريد أن يفسد على الناس توحيدهم وإيمانهم.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٧٨)، وأبو داود كتاب الفتن باب ذكر الفتن (ص ٥٩٦ - رقم ٤٢٥٢).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد ص ٣٠٦.

(٣) رواه البخاري كتاب الفتن باب تغير الزمان حتى تُعبد الأوثان (ص ١٢٢٦ - رقم ٧١١٥)،ورواه مسلم كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة (ص ١٢٥٩ - رقم ٧٢٩٨).

(٤) رواه مسلم كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة (ص ١٢٥٩ - رقم ٧٢٩٩).

قال العلامة حسين النعمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨٧هـ)[1]: «إن الشيطان الذي أضل السابقين، وأوقعهم في الشرك الوبيل: لم يسالمه، ولم تضع أوزاره بين أمة محمد ﷺ.

وإن أمة محمد ﷺ لم يتغير سنن الله فيها، ولا طبائع البشرية المعرضة للغفلة والنسيان، والجهل والكفر، والفسوق والعصيان، فمن علم ذلك أخذ حذره دائماً، وكان على بصيرة من أمره، فلم يقدم على عمل إلا على هدى من كتاب ربه، ونور من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.

فلينظر العبد: أي شيء هو في هذه المقامات؟ وهل دبَّ فيه غائلة هذا من داء الأمم وهو لا يشعر؟».

❊ ❊ ❊

---

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب ص ٢٢٩.

كيف أوقع الشيطان الناس في ورطات الشرك

الشـيطان لا يأتي للناس مباشرة فيوقعهم في الشرك، وإنما يتدرج معهـم في وسـائل الشـرك حتـى يوقعهم بعـد ذلك في الشـرك، وإذا أوقعهم في الشرك زيّن لهم بعد ذلك ما هم عليه، وسمى الشرك لهم بغير اسمه «شفاعة، توسل، تبرك، حب الأولياء»، ثم يُوقع في قلوب من اصطادهم الحمية في الانتصار لشـركهم، ومحاربة من ينصحهم ويأخذ بأيديهم إلى سلامة أديانهم وحسن عاقبتهم في الدنيا والآخرة. فتتبدل الحقائق أمام هؤلاء الذين اصطادهم الشيطان، فيصير الشيطان لهم ولياً، والعالم الناصح عدواً، ويستبدلون عقيدة التوحيد بالشرك، ووحي القرآن بفهم الصحابة برنة الشيطان.

ولذلـك جاءت الشـريعة بحماية جناب التوحيد فحرّمت وسـائل الشـرك فضلاً عن الشرك، فعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبـي صلى الله عليه وسلم وقال: إني نـذرت أن أنحر إبلاً ببُوانة، فقال صلى الله عليه وسلم: «**أكان فيهـا وثن من أوثـان الجاهلية يُعبد؟**» قال: لا، فقـال: «**فهل كان فيها عيـد من أعيادهـم؟**» قال: لا، قـال صلى الله عليه وسلم: «**أوف بنـذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم**»[(١)].

(١) رواه أبو داود كتاب الأيمان والنذور باب ما يؤمر به من وفاء النذر (ص ٤٨٠ - رقم ٣٣١٣)، وإسناده على شرط البخاري ومسلم كما قال ابن الملقن في البدر المنير (٩/ ٥١٨)، وابن ماجة كتاب الكفارات باب الوفاء بالنذر (ص ٣٠٦ - رقم ٢١٣٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وحسنه ابن الملقن في البدر المنير (٩/ ٥١٩).

ولما قال ناس لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، يا خيرنا، وابنَ خيرنا، وسيدنَا، وابن سيدنا، فقال: «**يا أيها الناس، قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان؛ أنا محمد عبدالله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل**»[1].

وبإزاء هذا الهدي المعصوم نجد أن الشيطان استزل قوم نوح بتصوير التماثيل أولاً، ثم مع اندراس العلم وفشو الجهل وسوس الشيطان لقوم نوح أن من كان قبلكم يعبدون تلك التماثيل.

عن ابن عباس رضي الله عنهما في ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٣٢] **أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انْصِبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجْلسون أنصاباً وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعْبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسخ العلم عُبدت**[2].

وعُباد القبور كعُباد التماثيل، قال العلامة سليمان بن عبدالله آل الشيخ رحمه الله[3]: «أصل عبادة الأصنام أنهم عظَّموا الأموات تعظيماً مبتدعاً، فصوروا صورهم، وتبركوا بها، فآل الأمر إلى أن عُبدت الصور ومن صورته، وهذا أول شرك حدث في الأرض، وهو الذي أوحاه الشيطان إلى عباد القبور في هذه الأزمان، فإنه ألقى إليهم أن البناء على القبور والعكوف عليها من محبة الصالحين وتعظيمهم،

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٥٣)، وصححه ابن حبان (٨/ ٤٦)، وجوّد إسناده إمام الدعوة في كتاب التوحيد ص ١١١.

(٢) رواه البخاري كتاب التفسير باب سورة نوح (ص ٨٧٥ – رقم ٤٩٢٠).

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٣١٠.

وأن الدعـاء عندها أرجى في الإجابة من الدعاء في المسـجد الحرام والمسـاجد، فاعتادوها لذلك، فإذا تقرر ذلك عندهم، نقلهم منه إلى الدعاء به والإقسام على الله به».

وقال العلامة حسين النعمي رحمه الله (ت: ١١٨٧هـ)[١]: «والمقصود أن الشيطان – بلطف كيده – يُحسِّن لمن حُرم العلم النافع: الدعاء عند القبـر، وأنـه أرجح من الدعاء في بيته ومسـجده، فإذا صدّقه في ذلك دعـاه إلى درجة أخرى من الدعاء عنده، ثم إلى الدعاء به، والإقسـام بـه علـى الله، وهذا أعظم مـن الأول، فإذا اسـتجاب لذلك دعاه إلى دعاء الميت نفسـه مـن دون الله، ثم ينقله إلـى أن يتخذ قبره معتكفاً، وأن يوقد عليه القنديل، بل ويضع عليه الستور، ويقيم عليه المسجد، ويعبده بالسـجود له، والطواف حوله، والتقبيل، والاسـتلام، والحج إليـه، والذبـح عنـده، ثم ينقله إلـى دعاء النـاس إلى عبادتـه واتخاذه عيداً».

وقـال ابن القيـم رحمه الله[٢]: «وما زال الشـيطان يُوحـي لعباد القبور ويلقـي إليهـم أن البنـاء والعكـوف عليها مـن محبة أهـل القبور من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء به والإقسـام على الله به. فإن شـأن الله أعظم من أن يقسم عليه، أو يُسأل بأحد من خلقه.

---

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب ص ١٤٧.

(٢) بواسطة القول الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس ص ١١٧-١١٨.

فـإذا تقـرر ذلـك عندهم نقلهـم منه إلـى دعائـه وعبادته وسـؤاله الشـفاعة، واتخـاذ قبره وثناً تعلَّـق عليه القناديل والسـتور ويُطاف به ويُستلم ويُقبّل ويُحج إليه، ويُذبح عنده، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منـه إلى دعاء الناس إلـى عبادته، واتخاذه عيداً ومنسـكاً، وأراهم أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم، وكل هذا مما قد عُلم بالاضطرار من دين الإسـلام أنه مضـاد لما بعث الله به رسـوله ﷺ من تجريد التوحيد لله، وأن لا يُعبد إلا الله.

فـإذا تقـرر ذلك عندهـم نقلهم منه إلـى أن من نهى عـن ذلك فقد تنقـص أهـل الرتبة العاليـة، وحطهم عن منزلتهم وزعـم أنه لا حرمة لهم ولا قدر، وغضب المشركون واشمأزت قلوبهم كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥]، وسـرى ذلـك فـي نفوس كثير من الجهـال والطغام، وكثير ممن ينتسـب إلى العلم والديـن، حتى عادوا أهل التوحيد ورموهـم بالعظائم، ونفّروا الناس عنهـم، ووالـوا أهـل الشـرك وعظموهم، وزعمـوا أنهم أوليـاء الله، وأنصار دينه ورسـوله، ويأبى الله ذلك، وما كانـوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون».



الرسول والإمام المجدد

للإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عبارات في «كشف الشبهات» تنادي على منهجه الدعوي الإصلاحي التجديدي السلفي الصحيح، حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر أحوال أهل الجاهلية وما كانوا يأتونه من الشر[1]: «فبعث الله محمداً رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهما».

فهذه العبارة منهج دعوة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، دعوة تجديدية بإعادة الناس إلى الأمر الأول إلى ملة إبراهيم.

دعوة تجديدية حقيقية ليست كدعوة أهل البدع الأئمة المضلين الذين غيَّروا الشرائع وبدَّلوا الدين تحت مسمى «التجديد». فشتان بين دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ التجديدية الإصلاحية وبين الابتداع في الدين واستحداث المذاهب المخترعة والأهواء المضلة تحت مسمى «التجديد» ليتم تزيينها وتلبيسها على الجهال لتبرير البدع ومواكبة العصر.

فالتجديد الشرعي الصحيح هو إعادة الناس إلى الأمر الأول، كما قال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [قٓ: ١٥]،

---

(١) كشف الشبهات ص ٢٥.

وقال النبي ﷺ: «**إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»(١).

فالنبي ﷺ كما قال إمام الدعوة جدّد ملة إبراهيم، لأن الناس في مكة ومن حولها كانوا على ملة إبراهيم فحرّف هذه الملة عمرو ابن لحي الخزاعي، وجلب الشرك من الشام وتحريم المباحات.

وكذلك أنكر كل باطل نسبه المشركون إلى إبراهيم عليه السلام، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما دخل الكعبة وجد إبراهيم وإسماعيل مصورين، وفي أيديهما الأزلام، فقال: «**قاتلهم الله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها أبداً**»(٢).

كذلك جدّد النبي ﷺ ما تعطّل من الحدود وهو مما اتفقت عليه الشرائع، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «مُرَّ على النبي ﷺ بيهودي محمماً مجلوداً، فدعاهم ﷺ، «**فقال: هكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم**»؟!».

قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: «**أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟!**».

---

(١) رواه أبو داود كتاب الملاحم باب ما يُذكر في قرن المائة (ص ٦٠٢ – رقم ٤٢٩١)، والحاكم (٤/ ٥٢٢)، وصحح إسناده المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٢٦٧).

(٢) رواه البخاري كتاب الحج باب من كبّر في نواحي الكعبة (ص ٢٦ – رقم ١٦٠١).

قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك: نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم إني أول من أحيا أمرك إذا أماتوه، فأمر به فرُجم**»[١].

والمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ينزل في آخر الزمان مجدداً للدين كما نطق بذلك القرآن، وتواتر في سنة سيد الأنام، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٥٧ - ٦١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (ت: ٧٧٤ هـ)[٢]: «ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى: «وإنه لعَلَم للساعة»، أي: أمارة ودليل على وقوع الساعة».

---

(١) رواه مسلم كتاب الحدود باب رجم اليهود (ص ٧٥٤ - رقم ٤٤٤٠).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٣٦).

وقال النبي ﷺ[(١)]: «**لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد**».

قال المهلب رحمه الله[(٢)]: «فيه من الفقه كسر نصب المشركين وجميع الأوثان، وإنما قصد إلى كسر الصليب وقتل الخنزير من أجل أنهما في دين النصارى المغترين المعتدين في شريعتهم إله، فأخبر النبي ﷺ أن عيسى عليه السلام سيغير ما نسبوه إليه كما غيّره محمد ﷺ، وأعلمهم أنهم على الباطل في ذلك، فدلَّ هذا أن عيسى عليه السلام يأتي بتصحيح شريعة محمد ﷺ حاكماً بالعدل بين أهلها».

وتكلم العلامة عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ رحمه الله في تجديد الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله للدين، فقال[(٣)]: «فإنه قد نشأ في أناس، قد اندرست فيهم معالم الدين، ووقع فيهم من الشرك والبدع، ما عم وطم، في كثير من البلاد، إلا بقايا متمسكين بالدين، يعلمهم الله تعالى؛ وأما الأكثرون: فعاد المعروف بينهم منكراً، والمنكر معروفاً، والسنة بدعة، والبدعة سنة، نشأ على هذا الصغير، وهرم عليه الكبير.

---

(١) رواه البخاري كتاب المظالم باب كسر الصليب وقتل الخنزير (ص ٤٠٠ – رقم ٢٤٧٦)، ومسلم كتاب الإيمان باب نزول عيسى ابن مريم عليه السلام حاكماً (ص ٧٧ – رقم ٣٨٩).
(٢) شرح صحيح البخاري (٦/ ٦٠٤ – ٦٠٥).
(٣) الدرر السنية (١/ ٤٤٢).

ففتح الله بصيرة شيخ الإسلام بتوحيد الله الذي بعث الله به رسله، وأنبياءه، فعرف الناس ما في كتاب ربهم، من أدلة توحيده، الذي خلقهم له، وما حرَّمه الله عليهم، من الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، فقال لهم ما قال المرسلون لأممهم، أن: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ﴾ [هود: ٥٠، ٦١، ٨٤].

فحجب كثيراً منهم عن قبول هذه الدعوة ما اعتادوه، ونشأوا عليه من الشرك والبدع، فنصبوا العداوة لمن دعاهم إلى توحيد ربهم وطاعته؛ وهو: شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن استجاب له، وقبل دعوته، وأصغى إلى حجج الله وبيّناته، كحال من خلا من أعداء الرسل، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾ [الفرقان: ٣١]».

وقال سماحة العلامة عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً حقيقة دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وحقيقتها هي الدعوة إلى ما بعث الله به نبيه محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من توحيد الله، والإخلاص له، وتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وذلك بالإخلاص لله ومتابعة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وترك ما عليه عباد القبور والأولياء من دعوة غير الله والاستغاثة بغير الله والذبح والنذر لغير الله، وعاداها وأنكرها الجهال الذين لم يعرفوا ما بعث الله به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من

(١) مجموع الفتوى البازية (٩/ ٢٣٠ - ٢٣١).

الهـدى ودين الحق، أو من نقلت لهـم على غير حقيقتها ممن جهلها أو تعمد الكذب عليها».

وقد بشـر النبي ﷺ بالأئمة المصلحين المجددين وثناؤه عليهم كمـا قـال ﷺ[١]: «**لا تـزال طائفـة من أمتـي ظاهرين علـى الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٢]: «كل منهم يقوم مقام الأنبياء فـي القـدر الذي نـاب عنهم فيـه، هذا في العلـم والمقـال، وهذا في العبادة والحال، وهذا في الأمرين جميعاً».

ومن تمام نصح النبي ﷺ مع تبشيره بالأئمة المصلحين تحذيره مـن الأئمـة المضلين حيث قـال[٣]: «**أخوف ما أخـاف عليكم الأئمة المضلين**».

قـال شـيخنا العلامـة صالـح الفـوزان حفظـه اللـه[٤]: «إن الأئمة المصلحيـن خيـر للأمـة، يجمعـون كلمتهـا، ويصلحـون عقيدتها، ويردونها إلى منهج السلف الصالح، ويحصل بهم الخير.

(١) رواه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» (ص ١٢٥٩ – رقم ٧٣١١)، ومسلم كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» (ص ٨٥ – رقم ٤٩٥٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٩٧).

(٣) رواه أحمد (٥/ ٢٧٨)، وأبو داود كتاب الفتن باب ذكر الفتن (ص ٥٩٦ – رقم ٤٢٥٢).

(٤) إعانة المستفيد (١/ ٣٣٦ – ٣٣٧).

أما دعاة الضلال فإنهم يصدونها عن الحق، ويدعونها إلى خلاف منهج السلف.

والآن فيما بيننا ظهر من يزهّد في منهج السلف، ويعتبره من الأمور الرَّجعية، ومن الأمور القاصرة، ويريد من المسلمين أن ينهجوا مناهج حديثة، ابتكرها جهّال أو ضُلّال، يريدون أن يسير الدعاة على هذا المنهج المبتكر المحدث، ويتركون منهج السلف الصالح الذي فيه الخير، وفيه الصلاح والفلاح، هذا ظهر، وقد أخبر ﷺ أنه يكون في هذه الأمة دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيها، قالوا: صفهم لنا يا رسول الله، قال: «**هم قوم من جلْدتنا، ويتكلمون بألسنتنا**»، فلنحذر من هؤلاء غاية الحذر. لا نجاة لنا إلا باتباع دعاة الصلاح الذين يدعون إلى منهج السلف الصالح، وإلى إتباع الكتاب والسُّنَّة، هؤلاء هم الخير على الأمة.

أما من أراد بالأمة خلاف ذلك، وابتكر لها منهجاً أو خطَّط لها تخطيطاً جديداً يخالف منهج السلف، فهذا لا يريد للأمة خيراً سواءًا كان متعمداً أو لم يتعمد. وأخطر ما على الأمة الآن الدعاة الجُهّال الذين لا يعرفون العلم، ويدعون الناس بجهل وضلال، أو الدعاة المغرضون الذين يعرفون الحق لكنهم مغرضون، يريدون صرف الأمة عن جادّة الصواب».

❊ ❊ ❊

أسباب ركوب الباطل والحيدة عن الحق

أفصح الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «كشف الشبهات» عن أسباب ركوب المبتدعة الباطل وحيدتهم عن الحق، فقال(١): «ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دُنيا أو جاه أو مداراة، وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه».

والذي قرره الإمام حق، وأدلة تضييع الحق خوف فوات جاه أو حظ دنيوي، أو مداراة ومصانعة لأهل الباطل معلومة، وهذا ما أفصح به المؤثرون لحظوظهم على الحق، قال المسور ابن مخرمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لأبي جهل – وكان خاله –: أي خال! هل كنتم تتَّهمون محمداً بالكذب قبل أن يقول مقالته التي قالها؟

قال أبو جهل – لعنه الله تعالى: يا ابن أخي!

والله لقد كان محمد فينا – وهو شاب – يُدعى الأمين ما جرَّبنا عليه كذباً قط، فلما خطَّه الشيب لم يكن ليكذب على الله.

قال: يا خال! فلم لا تتبعونه؟

---

(١) كشف الشبهات ص ١١٧.

قال: يا ابن أخي! تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف: فأطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، فلمَّا تجاثينا على الرُّكب وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبيٌّ، فمتى تُدرك هذه؟!(١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «وأبو طالب وإن كان عالماً بأن محمداً رسول الله ﷺ، وهو مُحبٌّ له، فلم تكن محبته له لمحبته الله، بل كان يُحبه لأنه ابن أخيه، فيحبه للقرابة، وإذا أحبَّ ظهوره فلما يحصل له بذلك من الشرف والرئاسة، فأصل محبوبه هو الرئاسة، فلهذا لما عرض عليه الشهادتين عند الموت رأى أن بالإقرار بهما زوال دينه الذي يُحبُّه، فكان أحبَّ إليه من ابن أخيه فلم يقرَّ بهما».

وقال أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ في الأسباب المانعة من قبول الحق(٣): «المحبة للرئاسة، والميل إلى الدنيا، والمفاخرة والمباهاة بها، والتشاغل بما فيه اللذة وما يدعو إلى الشهرة دون ما توجبه الحجة، ويقضي به العقل والمعرفة، فعلى نحو هذا من الأسباب تكون الآفة الصارفة والموجبة منه».

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٩٣).
(٢) الفتاوى الكبرى (٦/ ٢٤٤).
(٣) الواضح في أصول الفقه (١/ ٥٢٢).

وقال العلامة عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في أصناف المعارضين للحق[١]: «الصنف الثاني: الرؤساء أهل الأموال، الذين فتنتهم دنياهم وشهواتهم، لأنهم يعلمون أن الحق يمنعهم من كثير ممَّا أحبوه وألفوه من شهوات الغيِّ، فلم يعبئوا بداعي الحق، ولم يقبلوا منه».

وتكلم العلامة الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٥٠هـ) مبيناً أن من الناس من يُضيّع الحق مداراة ومصانعة للعامة، وكان واجب النصح للعامة تبيين الحق لهم لا تبرير ما هم عليه من باطل، حيث قال[٢]: «وقد يترك التكلم بالحق محافظة على حظ قد ظفر به من تلك الدولة من مال وجاه، وقد يترك التكلم بالحق الذي هو خلاف ما عليه الناس استجلاباً لخواطر العوام، ومخافةً من نفورهم عنه، وقد يترك التكلم بالحق لطمع يظنه ويرجو حصوله من تلك الدولة، أو من سائر الناس في مستقبل الزمان».



(١) عيون الرسائل (٢/ ٦٥٠).
(٢) أدب الطلب ومنتهى الإرب ص ٤١.

حض إمام الدعوة على طلب العلم لنصرة الحق ودفع الباطل

بعد أن ذكر إمام الدعوة في «كشف الشبهات»، طرفاً من شبهات المبتدعة عباد القبور، وذكر سنة الله في ابتلاء أهل الحق بأهل الباطل، ومناوئة أهل الباطل لأهل الحق، وتلبيسهم على الناس بشبهاتهم، حض على طلب العلم لنصرة الحق، والذب عن الشريعة، وصيانتها من التغيير والتبديل، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إذا عرفت ذلك وعرفت أن الطريق إلى الله تعالى لا بد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب عليك أن تعلم من دين الله ما يصير سلاحاً تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦ - ١٧]».

وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نصيحته، فإنما يؤتى الإسلام وتؤتى السنة من قبل تقصير أبناءهم، وإلا فالحق أبداً مضمون له الغلبة والظهور والفلج.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[2]: «ولهذا كان المُقصرون عن علم الحجج والدلالات، وعلم السياسة والإمارات مقهورين مع هذين الصنفين، تارة بالاحتياج إليهم إذا هجم عدو

(١) كشف الشبهات ص ٥٧.
(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٩٣ - ٤٩٤).

يُفسد الدين بالجدل أو الدنيا بالظلم، وتارة بالاحتياج إليهم إذا هجم على أنفسهم من أنفسهم ذلك، وتارة بالاحتياج إليهم لتخليص بعض من شر بعض في الدين والدنيا، وتارة يعيشون في ظلهم في مكان ليس فيه مبتدع يستطيل عليهم، ولا وال يظلمهم، وما ذاك إلا لوجود علماء الحجج الدامغة لأهل البدع والسياسة الدافعة للظلم».

وقد مدح الله العلم الذي يحصل به دحض المبطل، قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ﴾ [يوسف: ٧٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «قوله: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ﴾، فإن فيها تنبيهاً على أن العلم الدقيق الموصل إلى المقصود الشرعي صفة مدح، كما أن العلم الذي يُخصم به المبطل صفة مدح».

وهذا الذي أوصى به الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ هو من الإيمان الواجب، وهو من بعض حقوق الله على عباده،

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥].

---

(١) إعلام الموقعين (٣/ ٢٣٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[١]: «فقد أوجب الله تعالى على المؤمنين الإيمان بالرسول والجهاد معه، ومن الإيمان به تصديقه في كل ما أخبر به، ومن الجهاد معه دفع كل من عارض ما جاء به».

وقال ابن القيم رحمه الله[٢]: «ومن بعض حقوق الله على عبيده رد الطاعنين على كتابه ورسوله ودينه، ومجاهدتهم بالحجة والبيان والسيف والسنان والقلب والجنان، وليس وراء ذلك حبة خردل من الإيمان».

وهو من الجهاد بالحجة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**»[٣].

قال ابن حزم رحمه الله[٤]: «هذا الحديث في غاية الصحة، وفيه الأمر بالمناظرة وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله».

وقال العلامة بكر أبو زيد رحمه الله[٥]: «فالرد على أهل الباطل ومجادلتهم ومناظرتهم حتى تنقطع شبهتهم ويزول عن المسلمين ضررهم، مرتبة عظيمة من منازل الجهاد باللسان، والقلم أحد اللسانين».

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٧٣).
(٢) هداية الحيارى ص ١٢.
(٣) رواه أحمد (٣/ ١٢٤)، والنسائي (٦/ ٧)، وأبو داود (٣/ ٢٢)، كلهم من طريق حماد ابن سلمة عن حميد عن أنس به، قال ابن عبدالهادي: على شرط مسلم. المحرر في الحديث (٢/ ٤٣٩).
(٤) الإحكام في أصول الأحكام (١/ ٢٧).
(٥) الرد على المخالف ص ٤٠ من مجموع الردود.

وطلب العلم لكشف شبهات المبتدعين وجدال المبطلين هو من النصيحة لله ورسوله، عن تميم الداري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**الدين النصيحة**». قلنا: لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[(١)].

قال الخطيب البغدادي رحمه الله[(٢)]: «وأما جدال المحققين فمن النصيحة للدين».

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله[(٣)]: «ومن أنواع النصح لله تعالى وكتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو ما يختص به العلماء رد الأهواء المضلة بالكتاب والسنة على مُوردها، وبيان دلالتها على ما يخالف الأهواء كلها، وكذلك رد الأقوال الضعيفة من زلات العلماء، وبيان دلالة الكتاب والسنة على ردها».

❊ ❊ ❊

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان باب أن الدين النصيحة (١/ ٧٤ - رقم ٩٥).
(٢) الفقيه والمتفقه (١/ ٢٣٣).
(٣) جامع العلوم والحكم ص ٨٥.

ثقة محق لا مفاخرة مبطل

أبـان الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «كشـف الشـبهات» عـن ثقته في ظفر أهل السـنة فـي محاجتهم للمبتدعـة، حيث قال[١]: «والعامي من الموحّدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما هم الغالبون بالسيف والسنان. وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح.

وقد منَّ الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]».

والسـبب في ثقة الإمام هو تحققه بصحـة مذهبه، ولما هو معلوم أن الباطل لا يمكن أن يقوم عليه دليل صحيح.

قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «لا ريب أن الباطل لا يقوم عليه دليل صحيح لا عقلي ولا شـرعي، سـواء كان من الخبريات أو الطلبيات، فإن الدليل الصحيح يستلزم صحة المدلول عليه.

فلو قام على الباطل دليل صحيح لزم أن يكون حقاً مع كونه باطلاً، وذلك جمع بين النقيضين، مثل كون الشيء موجوداً أو معدوماً».

---

(١) كشف الشبهات ص ٥٩ – ٦٣.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح (٣/ ٢٦٠).

ويقول الله عز وجل في شـأن مقارعـة الحق للباطل: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٨].

قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «يعني بالحق القرآن على باطلهم (فيدمغه)، فيذهبُه ذهاب الصغار والإذلال، ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾: أي: ذاهب».

وقال الحافظ عبدالرزاق الرسـعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٦١هـ) في قوله: ﴿ فَيَدْمَغُهُۥ ﴾[٢]: «وذلك أن أصله إصابة الدماغ بالضرب وهو مقتل».

قال أبو محمد ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٦ هـ)[٣]: «وأول ما أمر الله عز وجل نبيه محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو له الناس بالحجة البالغة بلا قتال، فلمـا قامـت الحجة وعاندوا الحـق أطلق الله عليهم السـيف حينئذ، وقـال تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾ [الأنعـام: ١٤٩]، وقال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبيـاء: ١٨].

ولا شـك فـي هذا إنمـا هـو بالحجة، لأن السـيف مرة لنـا ومرة علينـا، وليس كذلك البرهان، بل هو لنا أبداً، ودامغ لقول مخالفينا، ومزهـق لـه أبـداً».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «وأهل السنة إذا تقابلوا هم وأهل البدعة فلهـم نصيب من تقابل المؤمنين والكفار، قال تعالى:

(١) معاني القرآن (٣/ ٣٨٧).
(٢) رموز الكنوز (٤/ ٦٠٢).
(٣) الإحكام في أصول الأحكام (١/ ٢٦).
(٤) الرد على البكري (٢/ ٥٩٩)، ط – دار الوطن.

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٥٩ - ٦٠]».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «ومن أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين، وبيان حقيقة أنباء المرسلين، ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ ﴾ [الأنعام: ١١٢]».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضاً[(٢)]: «وذلك أن الحق إذا جُحد وعُورض بالشبهات أقام الله تعالى له مما يُحق به الحق ويُبطل به الباطل من الآيات والبيّنات بما يظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة، وفساد ما عارضه من الحجج الداحضة».

وقال[(٣)]: «فالحق كالذهب الخالص، كلما امتُحن ازداد جودة، والباطل كالمغشوش المغشي، إذا امتحن ظهر فساده، فالدين الحق كلما نظر فيه الناظر، وناظر عنه المناظر، ظهرت له البراهين، وقوى به اليقين، وازداد به إيمان المؤمنين، وأشرق نوره في صدور العالمين.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح (١/ ١٣).
(٢) الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح (١/ ١٤).
(٣) الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح (١/ ١٥).

والدين الباطل إذا جادل عنه المجادل، ورام أن يقيم عوده المائل، أقام الله تبارك وتعالى من يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق».

وأما زهو المبتدعة بباطلهم فسببه عمايتهم في ضلالهم، فهؤلاء شأنهم شأن كفار قريش يستفتحون على أنفسهم بعذاب الله إن لم يكونوا على حق كما يتوهمون، قال الله عنهم: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

قال أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨٩ هـ)[١]: «وهذا يدل على شدة بصيرتهم في الكفر، وأنه لم تكن لهم شبهة وريبة في كذب الرسول، لأن العاقل لا يسأل العذاب بمثل هذا متردد في أمره».

وكذلك الشأن في المبتدعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وكذلك دعوى كثير من أهل الأهواء والضلال أنهم المُحققون، أو أنهم أهل الله، أو أهل التحقيق، أو أولياء الله، حتى تقفوا هذه المعاني عليهم دون غيرهم، ويكونون في الحقيقة إلى أعداء الله أقرب، وإلى الإبطال أقرب منهم إلى التحقيق بكثير.

فهؤلاء لهم شبه قوي بما ذكره الله عن اليهود والنصارى من قوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ

(١) تفسير القرآن (٢/ ٢٦١).
(٢) التسعينية (٣/ ٩٠٦).

أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة: ١١١ - ١١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [المائدة: ١٨]».

وأما قول الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعامي من الموحّدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين»، فهذا مما شهد به المبتدعة أنفسهم فإن أساطين المبتدعة إذا حضرهم الموت تمنوا أن يموتوا على عقائد العجائز.

فالعجائز والعامة على الفطرة، وقد كان الصحابة يذكرون ما عليه العجائز قبل أن يعتري الفطر ما يعتريها عاضداً لأدلة الكتاب والسنة، فعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال[١]: «فقد تركت بعدي عجائز ما تصلي واحدة منهن صلاة إلا سألت ربها أن يوردها حوض محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٦/ ٩٦ - رقم ٦٠٠)، والحاكم في مستدركه واللفظ له (١/ ٨٧)، وصححه ووافقه الذهبي.

قال الوالد العلامة صالح الفوزان حفظه الله معلقاً على عبارة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هذا من العجائب أن العامي غير المتعلم من الموحّدين يغلب ألفاً من علماء المشركين، ذلك لأن العامي عنده الفطرة السليمة التي لم تتلوث بالشكوك والأوهام وقواعد المنطق وعلم الكلام، أما العالم المشرك فليس عنده فطرة سليمة، ولا علم صحيح، وصاحب الفطرة السليمة يتغلب على الذي ليس عنده فطرة ولا علم، لأن علمه جهل».

ولأن العامة في الغالب فطرهم سوية وقصدهم حسن، غرضهم تحري الحق ولزومه، وأما المبتدعة فغرضهم نصرة أهوائهم وباطلهم فلا يوفقون إلى الحق.

قال العلامة أبو نصر السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٤٤هـ)[٢]: «وليكن من قصد من تكلم في السنة اتباعها وقبولها لا مغالبة الخصوم، فإنه يُعان بذلك عليهم، وإذا أراد المغالبة غُلب».

فلذلك تجد المبتدعة يسلكون أصولاً جدلية مخترعة ويركبون الحيل في مناظراتهم ليفرجوا بها مضايق تعطل أهوائهم عن الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع.

---

(١) شرح كشف الشبهات ص ٥٩.
(٢) الرد على من أنكر الحرف والصوت ص ٢٣٥.

قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أكثر المتكلمين المعرضين عن الطرق التي أرشد الله إليها كتاب الله وسنة نبيه وسلف أمته إلى طرق مبتدعة، واصطلاحات مخترعة، وقوانين جدلية، وأمور صناعية، مدار أكثرها على مباحث سوفسطائية أو مناقشات لفظية يرد بسببها على الآخذ فيها شبهة ربما يعجز عنها وشكوك يذهب الإيمان معها، وأحسنهم انفصالاً عنها أجدلهم لا أعلمهم».

فإذا علمت أن تحصن المبتدع المبطل بمناقشات لفظية لا بعلم شرعي صحيح فحينئذ ظفره على العامي لو ظفر فإنما هو من قبل سلامة فطرة العامي، وعدم إحاطته بالبدع المخترعة والمناقشات اللفظية والقوانين الجدلية.

قال الوالد العلامة صالح الفوزان حفظه الله[2]: «فهذا مما يوجب على طلبة العلم وعلى الدعاة إلى الله خصوصاً أن يتفقهوا في دين الله، وأن يتعلموا حجج الله وبراهينه، وأن يطّلعوا على ما عند الخصوم والكفار والمنافقين من الباطل من أجل أن يدحضوه».

❋ ❋ ❋

(١) المفهم (٦/ ٦٩٠).
(٢) شرح كشف الشبهات ص ٦١.

العلة في قلب الحقائق في توقير الأولياء

الواقع واضح لمن قصد وجه الله وكان عارفاً بما بُعثت به الرسل عليهم السلام، فالذي يوقّر الأنبياء هو الذي يتّبع سنتهم ويحقق التوحيد، والذي لم يوقّر الأنبياء هو الذي ضادهم في أصل الأصول الذي بُعثوا به.

فكل من يرى واقع القبوريين يعرف أنهم زيفوا الواقع وقلبوا الحقائق ليتكسبوا من عبادة القبور، فالأمر كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾ [التوبة: ٣٤].

وكل من تأكل بالباطل ففيه شبه باليهود، قال أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: « ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ [البقرة: ٤١]، ذلك أن علمائهم وأحبارهم كانت لهم مأكلة على أغنيائهم وجهّالهم، فخافوا أن تذهب مأكلتهم إن آمنوا بمحمد ﷺ فغيروا نعته، وكتموا اسمه، فهذا معنى بيع الآيات بالثمن القليل».

ولا يجوز للعالم أو طالب العلم مصانعة القبوريين في شركهم وإقرارهم على ذلك، بل يجب أن ينكر تلك المنكرات.

---

(١) تفسير القرآن (١/ ٧٢).

فـإن قلت إنك في بلد في جزيرة العـرب، الناس موافقون لك في العقيـدة أعـوان لك علـى أهل الباطـل، فالأمر ليس بهـذه الصفة في خارج الجزيرة حيث ستنصر العامة والدهماء سدنة القبور المتكسبين بغواية الناس وإضلالهم؟!

فالجواب أن من حســن قصده برئت ذمته إذا قام بالواجب ولو لم يقبـل الناس نصحه كما قال تعالى: ﴿ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

ومن تلبيس إبليس توهم أن الناس سـيضادونك في نصحك وفي نصرك للدين، فإن الناس قد قاموا بواجب النصح في تحقيق التوحيد فـي خارج جزيـرة العرب ونصرهم الله، وسـخر لهم مـن العامة من ينصرهم.

قال علامة المغرب محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ مبيناً أثر دعوة التوحيـد في بلاد المغرب[١]: «كان أحد الأخوة الموحّدين واقفاً أمام دكان، فقـال صاحب الدكان: يا مولاي إدريس، فقال له الموحّد: قل يا الله، فإن المخلوق لا ينفع ولا يضر، فاستمع صاحب الدكان لقول الحق واعترف.

وكان هناك سـادن يعيش على النذور التـي تُقدم للأوثان،فغضب على الموحّد غضباً شديداً، وقال: كيف تسب مولاي إدريس؟ فقال:

(١) سبيل الرشاد (٢/ ٢١٦).

أنا ما سببته، ولكن أنكرت الاستغاثة به، وأخذ يصيح لتجتمع الناس، ظاناً أنهم إذا اجتمعوا سينصرونه، فاجتمعوا ولكنهم لم ينصروه بل نصروا الموحّد على السادن.

ومدينة مكناس هذه كانت قبل خمس عشرة سنة هي مركز الشرك والبدع، ولكن الله الكريم بارك في دعوتي التي بدأتها وحدي، فاستجاب إليها كثير من الناس، فأينما ذهبت في أنحاء المدينة تجد أنصار التوحيد، إخوان من وحّد الله، ولا تزال دعوة التوحيد تنتشر وتنتصر يوماً بعد يوم».

فالقوم أُتوا من جهلهم وسوء فهمهم، ومن الاستماع للكذب الذي قيل في الإمام ودعوته، ولذلك افتروا عليه أنه أتى بمذهب خامس جديد، قال العلامة عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هذا القيل الكاذب، على سوء فهمه، وانصرافه عن دين الإسلام؛ لأنه عدو لمن قام به، ودعا إليه، وعمل به؛ ومن المعلوم عند العقلاء وأهل البصائر: أن من دعا الناس إلى توحيد ربهم وطاعته، أنه الناصح لهم حقاً؛ وأما من حسّن الشرك والبدع، ودعا إليها، وجادل بالباطل، وألحد في أسماء الله وصفاته، فهو الظالم، الغاش، لعباد الله، لأنه يدعوهم إلى ضلالة، نعوذ بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء».

(١) الدرر السنية (١/ ٤٤٢).

فبسبب كراهية أهل الباطل لدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاروا يصيغون دعوته ويبرزونها للناس على وجه يوجب النفرة منها، ومنهم من تكلم في دعوته وهو جاهل بحقيقتها سمع الناس يقولون شيئاً فقاله.

فمن يطلب الحق من خصومه لا شك أنه ستُقلب عليه الحقائق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فإن الإنسان إن لم يتعمَّد أن يلوي لسانه بالكذب، أو يكتم بعض ما يقوله غيره، لكنَّ المذهب الذي يقصد الإنسان إفساده لا يكون في قلبه من المحبة له ما يدعو إلى صوغ أدلته على الوجه الأحسن حتى ينظمها نظماً ينتصر به، فكيف إذا كان مبغضاً لذلك؟!».



(١) نقض تأسيس الجهمية (٢/ ٣٤٤).

الإمام وقّر الأنبياء والأولياء والمبتدعة انتقصوهم

لا أحد يشك في أن حب عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ وحب رسول الله ﷺ لها فوق كل حب، لا يبلغه أحد من المخلوقين بشهادة النبي ﷺ نفسه، فقد قال عمرو بن العاص للنبي ﷺ: أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة رضي الله عنها**»، قلت: من الرجال؟ قال: «**أبوها**»، قلت: ثم من؟ قال: «**عمر رضي الله عنه وسمى رجالاً**»[1].

فهذه عائشة رضي الله عنها التي بهذه المنزلة لما نزلت براءتها من الإفك من فوق سبع سموات، قالت لها أمّها: قومي إلى رسول الله ﷺ. فقالت رضي الله عنها: والله لا أحمد إلا الله عز وجل[2].

فالنبي ﷺ قال مقراً لها تحقيق التوحيد وإنزال زوجها رسول الله ﷺ منزلته اللائقة به بشراً رسولاً: «ولّت الحمد أهله».

فالإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله كرسول الله ﷺ ولّى حق الله الخالص لله وحده لا شريك له، فقال إن الرسول ﷺ وهو سيد الأولياء ومن دونه من باب أولى لا يرزقون الناس ولا يشفونهم ولا يهبونهم الذرية ولا يملكون لهم ضراً ولا نفعاً.

---

(١) رواه البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب (ص ٦١٤ – رقم ٣٦٦٢)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق (ص ١٠٥ – رقم ٦١٧٧).

(٢) رواه البخاري كتاب التفسير باب قوله: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك﴾ (ص ٨٣١ – رقم ٤٧٥٠).

قال ابن القيم رحمه الله (ت: ٧٥١هـ)[١]: «ومن العجب أنهم ينسبون أهل التوحيد إلى التنقص بالمشايخ والأنبياء والصالحين، وما ذنبهم إلا أن قالوا: إنهم عبيد لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضرًّا ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا، وإنهم لا يشفعون لعابديهم أبداً، بل قد حرَّم الله شفاعتهم لهم، ولا يشفعون لأهل التوحيد إلا بعد إذن الله لهم في الشفاعة، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، والشفاعة كلها له سبحانه، والولاية له، فليس لخلقه من دونه ولي ولا شفيع».

فالإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله هو الذي وقَّر الأنبياء والأولياء والذي انتقصهم هو الذي أنزل البشر منزلة رب الأرباب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨هـ)[٢]: «اعلم أن أهل القبور من الأنبياء والصالحين، المدفونين، يكرهون ما يفعل عندهم كل الكراهة، كما أن المسيح عليه السلام يكره ما يفعل النصارى به، وكما كان أنبياء بني إسرائيل يكرهون ما يفعله الأتباع، فلا يحسب المرء المسلم أن النهي عن اتخاذ القبور أعياداً وأوثاناً فيه غض من أصحابها، بل هو من باب إكرامهم، وذلك أن القلوب إذا اشتغلت

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٢٨ - ١٢٩).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٦٩).

بالبدع أعرضت عن السنن، فتجد أكثر هؤلاء العاكفين على القبور معرضين عن سنة ذلك المقبور وطريقته، مشتغلين بقبره عما أمر به ودعا إليه.

ومن كرامة الأنبياء والصالحين: أن يتبع ما دعوا إليه من العمل الصالح، ليكثر أجرهم بكثرة أجور من اتبعهم، كما **قال النبي** ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شيء**»».

وقال العلامة حسين النعمي رحمه الله (ت: ١١٨٧هـ)[١]: «ولا تحسب أيها المنعم عليه باتباع صراط الله المستقيم: أن النهي عن اتخاذ القبور مساجد وأعياداً، وعن إيقاد السرج عليها، والسفر إليها، والنذر لها، واستلامها، وتقبيلها، وتعفير الجباه في عرصاتها، ونحو ذلك: غض من قدر أصحابها، ولا تنقُّص لهم كما يحسبه الضلال، بل ذلك من إكرامهم ومتابعتهم فيما يحبونه، وتجنب ما يكرهونه، فأنت والله وليُّهم ومحبُّهم، وناصر طريقتهم وسنتهم، وعلى هديهم ومناهجهم.

وهؤلاء المشركون من أعصى الناس لله ولرسوله، وأغضبهم له، وأبعدهم من هديه، كالنصارى مع المسيح عليه السلام، والروافض مع علي رضي الله عنه.

---

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب ص ١٤٤ – ١٤٥.

فأهل الحق أولى بأهل الحق من أهل الباطل ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١].

والقلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن فتجد أكثر هؤلاء العاكفين على القبور مُعْرضين عن طريقة من فيها وسنته، مشتغلين بقبره عما دعا إليه وأمر به من إخلاص الدين والعبادة لله وحده.

وتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم: إنما هو باتباع ما دعوا إليه: من العلم النافع، والعمل الصالح، واقتفاء آثارهم، وسلوك طريقتهم، دون عبادة قبورهم، والعكوف عليها، واتخاذها عيداً. فأي تعظيم لهم واحترام في هذا؟».



التكسب بالبدع والشرك

الباطل لا يمكن أن يقوم عليه دليل صحيح، فإذا رأيت من ينسب نفسه للعلم وينصر الباطل، فاعلم أنه غير متحقق بالعلم متعالم، أو أنه يتكسب بنصرة الباطل والدعوة إليه.

وهذا شأن أهل الباطل جميعاً كافرهم أو مبتدعهم، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «ولقد ناظرت بعض علماء النصارى معظم يوم، فلما تبيَّن له الحق بهت، فقلت له - وأنا وهو خاليين - ما يمنعك الآن من اتباع الحق؟ فقال لي: إذا قدمت على هؤلاء الحمير - هكذا لفظه - فرشوا لنا الشقاق تحت حوافر دابتي، وحكموني في أموالهم، ونسائهم، ولم يعصوني فيما آمرهم به، وأنا لا أعرف صنعة، ولا أحفظ قرآنا، ولا نحواً، ولا فقهاً، فلو أسلمت لدرت في الأسواق أتكفف الناس، فمن الذي يطيب نفساً بهذا؟! فقلت: هذا لا يكون، وكيف تظن بالله أنك آثرت رضاه على هواك يُخزيك، ويُذّلك ويُحوجك؟!

ولو فرضنا أن ذلك أصابك فما ظفرت به من الحق والنجاة من النار، ومن سخط الله وغضبه فيه أتم العوض عما فاتك، فقال: حتى يأذن الله، فقلت: القدر لا يُحتج به، ولو كان القدر حجة لكان حجة لليهود على تكذيب المسيح، وحجة للمشركين على تكذيب الرسل، ولاسيما وأنتم تُكذِّبون بالقدر، فكيف تحتج به؟!

فقال: دعنا الآن من هذا، وأمسك».

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ١٢١.

وكذلـك الشـأن في أهـل البدع، فما أكثر من يتكسـب بـآل البيت والأوليـاء والصالحين، قال مقاتل بن حيان[(١)]: «أهل هذه الأهواء آفة أمـة محمد ﷺ، إنهـم يذكرون النبـي ﷺ وأهل بيتـه، فيتصيَّدون بهذا الذكر الحسـن الجهال مـن الناس، فيقذفون بهـم في المهالك، فما أشـبههم بمن يسقي الصبر باسم العسـل، ومن يسقي السم باسم الترياق».

وقـال محمد بن الحنفية رحمه الله، وهو من سـادات آل البيت الكرام ناصحاً الحسين بن علي رضي الله عنه في عدم الخروج إلى العراق لمن طلب منـه ذلك ليبايعوه على الحكم[(٢)]: «إن القوم إنما يريدون أن يأكلوا بنا ويشيطوا دماءنا».

وهـذا أبو جعفر محمد بن علي الباقر رحمه الله من سـادات آل البيت أراد البعض أن يتكسـب به، فادّعى فيه المهدية، قال أبو جعفر محمد ابن علي الباقر رحمه الله[(٣)]: «يزعمون أني المهدي، وإني إلى أجلي أدنى مني إلى ما يدّعون».

وكذلـك تكسّـب الطرقيـة والصوفيـة بقبـور الموتى مـن الأولياء والصالحين، فخرجوا من السـنة حيث أمر النبي ﷺ بتسـوية القبور بـالأرض، وأقامـوا الأضرحة، وجعلوا لها سـدنة، وبـات القبر مزاراً تذبح عنده القرابين، ويطاف به، ويسـتغاث به من دون الله عز وجل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) الاعتصام (١/ ١٤٢).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٤٩٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٧).

وصـار سـدنة القبور جبـاة أموال الزائريـن، وتطـوّر الأمر فقامت بعـض دول أهـل البـدع برعاية القبـور والأضرحة، ودفعـوا الأموال الطائلة في إقامة معالم مزارات بدعية شركية، وأرسلوا أفواج أقوامهم في رحلات سـياحية، يبتغون من المخلوقين شـفاء الأسقام، وطلب الذرية، ودفع الضر وجلب المنفعة، والله المستعان.

فهـؤلاء غاشـون للناس أكلـوا أموالهـم بالباطـل، وأوقعوهم في ورطات الشرك، والعياذ بالله.

قال العلامة محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٥٠هـ) متحدثاً عن التكسـب بالموتى[1]: «وقد يجعل الشـيطان طائفة من إخوانه من بنـي آدم يقفـون على ذلك القبر يخادعون من يأتـي إليه من الزائرين، يهونـون عليهـم الأمـر، يصنعون أمـوراً من أنفسـهم وينسـبونها إلى الميـت على وجه لا يفطـن لها من كان من المغفليـن، وقد يصنعون أكاذيب مشتملة على أشياء يسـمونها كرامات لذلك الميت ويبثونها في الناس، ويكررون ذكرها في مجالسـهم وعند اجتماعهم بالناس، فتشيع وتسـتفيض ويتلقاها من يُحسّـن الظن بالأموات، ويقبل عقله ما يروى عنهم من الأكاذيب، فيرويها كما سـمعها، ويتحدث بها في مجالسـه، فيقع الجهال فـي بلية عظيمة من الاعتقـاد، وينذرون على ذلك الميت بكرائم أموالهم، ويحبسون على قبره من أملاكهم ما هو

(١) شرح الصدور في تحريم رفع القبور ص ١٠ – ١١، مطبوع ضمن مجموع الرسائل السلفية في إحياء سنة خير البرية للشوكاني.

أحبها إلى قلوبهم لاعتقادهم أنهم ينالون بذلك بجاه ذلك الميت خيراً عظيماً، وأجراً بليغاً، ويعتقدون أن ذلك قربة عظيمة، وطاعة نافعة، وحسنة متقبلة، فيحصل بذلك مقصود أولئك الذين جعلهم الشيطان من إخوانه من بني آدم على ذلك القبر، فإنهم إنما فعلوا تلك الأفاعيل، وهوَّلوا على الناس بتلك التهاويل، وكذبوا بتلك الأكاذيب لينالوا جانباً من الحطام من أموال الطغام الأعتام، وبهذه الذريعة الملعونة والوسيلة الإبليسية تكاثرت الأوقاف على القبور، وبلغت مبلغاً عظيماً، حتى بلغت غلات ما يوقف على المشهورين منهم ما لو اجتمعت أوقافه ما يقتاته أهل قرية كبيرة من قرى المسلمين، ولو بيعت تلك الحبائس الباطلة أغنى الله بها طائفة عظيمة من الفقراء، وكلها من النذر في معصية الله، وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا نذر في معصية الله**»[1]، وهي أيضاً من النذر الذي لا يبتغى به وجه الله، بل كلها من النذور التي يستحق بها فاعلها غضب الله وسخطه، لأنها تفضي بصاحبها في الغالب إلى ما يفضي به الاعتقاد في الأموات من تزلزل قدم الدين، إذ لا يسمح بأحب أمواله وألصقها بقلبه إلا وقد ذرع الشيطان في قلبه من محبة ذلك القبر، وصاحبه، والمغالاة في الاعتقاد فيه ما لا يعود به إلى الإسلام سالماً نعوذ بالله من الخذلان.

---

(١) رواه مسلم كتاب النذر باب لا نذر في معصية الله (ص ٧٢٠ – رقم ٤٢٤٥)، بلفظ (لا وفاء لنذر في معصية الله).

ولا شك أن غالب هؤلاء المغرورين المخدوعين لو طلب منهم طالب أن ينذر بذلك الذي نذر به لقبر ميت على ما هو طاعة من الطاعات وقربة من القربات لم يفعل ولا كاد، فانظر إلى أين بلغ تلاعب الشيطان بهؤلاء، فكيف رمى بهم في هوة بعيدة القعر مظلمة الجوانب، فهذه مفسدة من مفاسد رفع القبور وتشييدها وزخرفتها وتجصيصها. ومن المفاسد البالغة إلى حد يرقى بصاحبه إلى وراء حائط الإسلام، ويلقيه على أم رأسه من أعلى مكان من الدين، أنه يأتي كثير منهم بأحسن ما يملكه من الأنعام ويحوزه من المواشي فينحره عند ذلك القبر متقرباً به إليه، راجياً ما يضمر حصوله له منه، فيُهل به لغير الله، ويتعبد به لوثن من الأوثان بأنه لا فرق بين نحر النحائر لحجر منصوبة يسمونها وثناً، وبين قبر لميت يسمونه قبراً، ومجرد الاختلاف في التسمية لا يغني من الحق شيئاً، ولا يؤثر تحليلاً وتحريماً، فإن من أطلق على الخمر غير اسمها وشربها كان حكمه حكم من شربها وهو يسميها باسمها بلا خلاف بين المسلمين أجمعين».



العبرة بحقائق الشرك

أئمة الضلال بكيدهم ومكرهم أوقعوا الناس في ورطات الشـرك بتزيينـه لهـم من خـلال تسـميته لهم بغير اسـمه، فسـموا الاسـتغاثة بالمخلـوق توسـلاً بجاهه عنـد الله، وسـموا الخضوع عنـد الموتى وسـؤالهم ما لا يقـدر عليه إلا اللـه توقيراً وحباً للصالحين، وسـموا التمسـح بالقبور تبركاً، وسـمّوا الطواف بالقبور تحية للميت حتى لا يقال إنه صرف للعبادة لغير الله فيكون شركاً.

وأئمـة الهـدى المحققـون لا يروج عليهـم هذا التمويـه، فحقائق التوحيـد وما يضـاده واضحـة لتحققهم بالعلـم ومعرفتهـم حق الله الخالـص، ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣].

وقد كان النبي ﷺ يربّي أصحابه على حقائق التوحيد، فعن عديِّ ابن حاتم رضي الله عنه قال[1]: «أتيتُ النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «**يا عدي: اطرْح عنك هذا الوثن**»، وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]، قال عدي ما عبدناهم»، وفي رواية[2]: «قلت: يا رسـول الله، أما إنهم لـم يكونـوا يُصلُّون لهم، قـال: «**صدقت، ولكن كانـوا يُحلُّون لهم ما حرَّم الله فيستحلونه، ويُحرِّمون ما أحلَّ الله لهم فيحرِّمونه**».

(١) رواه الترمذي كتاب تفسير القرآن باب من سورة التوبة (ص ٦٩٧ - رقم ٣٠٩٥)، وقال: حديث حسن غريب، وصححه أبو المظفر السمعاني في تفسيره (٢/ ٣٠٣)، وحسنه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الإيمان (٧/ ٦٧) من مجموع الفتاوى.

(٢) رواه الطبري في جامع البيان (١١/ ٤١٨).

وقال الربيع بن أنس لأبي العالية: كيف كانت الربوبية التي في بني إسرائيل؟ قال: أبو العالية: ما أمرونا به ائتمرنا، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم، وهم يجدون في كتاب الله وما أُمروا به وما نُهوا عنه، فاستنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم[1].

وانظر إلى تمام الآية حيث قال الله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾ [التوبة: ٣١]، قال الطبري رحمه الله[2]: «وما أُمر هؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا الأحبار والرهبان والمسيح أرباباً، ليس إلا أن يعبدوا معبوداً واحداً، وأن يُطيعوا إلا رباً واحداً، دون أرباب شتى، وهو الله الذي له عبادة كل شيء، وطاعة كل خلق، المستحق على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية، (لا إله إلا هو)، يقول تعالى ذكره: «لا تنبغي الألوهية إلا للواحد الذي أمر الخلق بعبادته، ولزمته جميع العباد طاعته»».

وتجد تحذير الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في «كشف الشبهات» من حقيقة الشرك وبيانه لحقيقة التوحيد واضح في الرسالة كلها، فأول ما بدأ به رسالته هو في بيان حقيقة كلمة التوحيد، حيث قال مبيناً حقيقة ما كان عليه أهل الجاهلية من الشرك، وحقيقة التوحيد الذي دعاهم إليه النبي ﷺ[3]: «إن إقرارهم – أهل الجاهلية – بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل

---

(١) جامع البيان (١١/ ٤٢٠).
(٢) جامع البيان (١١/ ٤٢١).
(٣) كشف الشبهات ص ٤٠ – ٤٤.

دماءهـم وأموالهـم، عرفت حينئـذ التوحيد الذي دعت إليه الرسـل، وأبـى عن الإقرار به المشـركون، وهذا التوحيد هـو معنى قولك: لا إله إلا الله.

فإن الإله عندهم هو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجرة أو قبراً أو جنياً.

لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبِّر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده، كما قدمت لك، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا «السيد».

فأتاهـم النبي ﷺ يدعوهم إلـى كلمة التوحيد، وهـي: لا إله إلا الله، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها».

وعلَّق شيخنا العلامة صالح الفوزان حفظه الله بقوله[1]: «الواجب على المسلمين أن ينتبهوا لدينهم ويتأملوا دعوة نبيهم ويفقهوا دينهم فقهاً صحيحاً، ويقيموه على أساس سليم من عقيدة التوحيد والبراءة مـن الشـرك وأهلـه، ولا يكتفوا بمجرد التسـمي والانتسـاب إليه مع البقاء على الرسـوم والعادات المخالفة له، وترديد عبارات جوفاء لا تسمن ولا تغني من جوع».

والعلامة أبو بكر الطرطوشـي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٢٠هـ)، سـاق حديث أبـي واقد الليثـي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا مع النبـي ﷺ قبل حنين، ونحن حديثو عهد بكفر، وللمشـركين سـدرة يعكفون حولها وينوطون بها

---

(١) شرح كشف الشبهات ص ٤٩.

أسلحتهم، يُقال لها ذات أنواط، فمررنا بالسدرة، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «**الله أكبر! هذا كما قالت بنو إسرائيل:** ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **لتركبُنّ سنن من قبلكم**».

علَّق بقوله[1]: «فانظروا رحمكم الله! أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظّمون من شأنها ويرجون البرء والشفاء من قِبلها وينوطون بها المسامير والخِرق فهي ذات أنواط».

قال العلامة عبدالعزيز بن باز رحمه الله[2]: «الاعتبار بالحقائق والمعنى، لا باختلاف الألفاظ، فإذا قالوا: ما نعبدهم وإنما نتبرك بهم، لم ينفعهم ذلك، ما داموا فعلوا فعل المشركين من قبلهم، وإن لم يسمّوا ذلك عبادة، بل سموه توسلاً أو تبركاً، فالتعلق بغير الله، ودعاء الأموات والأنبياء والصالحين والذبح لهم أو السجود لهم، أو الاستغاثة بهم، كل ذلك عبادة ولو سمّوها خدمة، أو سموها غير ذلك، لأن العبرة بالحقائق لا بالأسماء كما تقدم. ومن هذا القبيل قول الجماعة الذين خرجوا مع النبي ﷺ إلى حنين لما رأوا المشركين يعلقون أسلحتهم على سدرة، قالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «**الله أكبر! قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى:** ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الأعراف: ١٣٨]»، فجعل المقالة واحدة، مع أن هؤلاء قالوا:

(١) الحوادث والبدع ص ١٠٤ – ١٠٥.

(٢) مجموع الفتاوى البازية (٣/ ١٣٩).

اجعل لنا ذات أنواط، فجعل قولهم مثل قول بني إسرائيل، لأن العبرة بالمعنى والحقائق لا بالألفاظ».

وكذلك الشأن فيما يُذبح عند القبور لغير الله، لا فرق بينها وبين ما يُذبح عند الأصنام في الجاهلية، فكله مما أُهل لغير الله به.

قال العلامة محمد بن علي الشوكاني رحمه الله (ت: ١٢٥٠هـ)[1]: «ومن المفاسد البالغة إلى حد يرقى بصاحبه إلى وراء حائط الإسلام، ويلقيه على أم رأسه من أعلى مكان من الدين أنه يأتي كثير منهم بأحسن ما يملكه من الأنعام ويحوزه من الحواشي فينحره عند ذلك القبر متقرباً به إليه راجياً ما يضمر حصوله له منه فيُهل به لغير الله، ويتعبد به لوثن من الأوثان بأنه لا فرق بين نحر النحائر لحجر منصوبة يسمونها وثناً وبين قبر لميت يسمونه قبراً، ومجرد الاختلاف في التسمية لا يغني من الحق شيئاً ولا يؤثر تحليلاً وتحريماً، فإن من أطلق على الخمر غير اسمها وشربها كان حكمه حكم من شربها وهو يسميها باسمها بلا خلاف بين المسلمين أجمعين».

ومن طرائق المبتدعة والمشركين في مخادعة الجاهلين تزيينهم الشرك لهم باسم «التوسل»، فيسمون الاستغاثة بغير الله «توسل إلى الله في قضاء الحوائج بالأقربين إلى الله في إجابة الدعاء، وقضاء الحوائج بأهل الخير»!!!

---

(١) شرح الصدور في تحريم رفع القبور ص ١١، من مجموع الرسائل السلفية في إحياء سنة خير البرية.

قال العلامة حسين النعمي رحمه الله مبطلاً هذا التمويه[١]: «ذكر التوسل بالأقربين إلى الله تعالى في قضاء الحوائج ما ترتب عليه أو نشأ منه من غائلة الضرر المتلف للدين إلى الله تعالى في قضاء الحوائج ما ترتب عليه أو نشأ منه من غائلة الضرر المتلف للدين والعقول. ومن عقل الإيمان بالله وتوحيده لا يلتبس عليه الحال، ولا تشتبه شمس الضحى بحالك الليالي، حتى يتوهم أن تلزيق هذا يروج في الملة المبرأة عن السفه ونصرة الباطل البيّن أغرب من اعوجاجه وميله، وأعجب من ولوج العوام في ظلمة ليله».

وقال[٢]: «إنهم قد ذهبوا هذا المذهب المشروح آنفاً في سكان التراب، وأنزلوهم هذه المنزلة المحكية من مساواة رب الأرباب، وقد سردنا بعضها للبيان[٣]، ولئلا يتمكن الخصم من جحود، أو يقدر على مدافعة، وليعرف كل سامع لما نمليه: أن القائل بأن العوام قد يقع منهم عبارات موهمة، وقصارى أمرهم: التوسل، إما غالط أو خالط، أو جاهل للدين، وإلا فما بعد هذا؟».

وقال أيضاً[٤]: «فهذا ما يدعونه توسلاً، وسنبطله أيضاً إن شاء الله، ونبين: هل هو «عبارة موهمة»، أم إشراك بذي التصرف في الملك

---

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب ص ١٩٢.
(٢) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب ص ١٩٤.
(٣) من سؤال الموتى ما لا يقدر عليه إلا الله من الرزق والذرية والشفاء من الأسقام ودفع المضار، والذبح والنذر لغير الله.
(٤) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب ص ١٩٤.

والملكوت؟ لأنه إنما بقي له تعالى في عقائدهم بعد هذا الذي سموه توسلاً إلا مكان دون هذا الأثر».

وقال[١]: «فما من مسلم عرف معنى الإيمان بالله حقاً وتوحيده، وأنس بطرائق هذا الدين الحنيف قبل استيلاء تلك البدع المحدثات على القلوب يرى شيئاً من هذا حسناً، بل جائزاً، بل معصية لا تدافع التوحيد، فضلاً عن أن يؤصل كونه باباً من الدين، والدين بحمد الله واضح المناهج، بيّن المدارج، لا يحتمل أوهام من ضل وزل وخرَّ لوجهه في مهاوي هذا الضلال المبين.

أفيقول ذو عقل: إن ما حكيناه «مجرَّد توسل»، وعبارة موهمة، بمنزلة اللغو في اليمين؟ اللهم إنا نبرأ إليك من هذه المخادعة لك ولدينك».

وقال علامة الجزائر مبارك بن محمد الميلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً حقيقة الشرك الذي حاول ترويجه المبتدعون بتسميته بغير اسمه[٢]: «وإذا قيل للناس: إن هؤلاء الضرائح والمزارات من الأوثان، قالوا: إنكم تسبُّون الصالحين!

يا إخواننا افهموا لغة العرب والدين تجدوا أن ذلك ليس من الطعن على الأولياء، فإن كل ما نُصب ليعبد من دون الله فهو وثن أو صنم، وكل من عبده فهو هالك، وليس كل معبود من دون الله هالكاً، قال تعالى:

---

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب ص ١٩٥.
(٢) الشرك ومظاهره ص ٢٢٨.

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨ - ١٠١]، فتلك المزارات والضرائح من الأوثان وإن كانت منسوبة إلى ولي صالح».

وقال علامة مصر محمد خليل هراس رحمه الله[1]: «في الحقيقة كل ما نُصب ليُعبد من دون الله فهو وثن، فالقبور التي تُعبد تُسمى أوثاناً، ولذلك فالرسول ﷺ قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد من بعدي**»».

وقال العلامة عبدالرزاق عفيفي رحمه الله[2]: «إن المقبور الميت الذي يُزار وتُفعل عنده البدع أو الشركيات قد يكون هذا المقبور من الصالحين المتقين، وهو غير مسؤول عما يقع عند قبره من المخالفات التي تسخط الله.

الأمر الثاني: أن صلاح هذا الميت المقبور ليس مبرراً أن نصرف إليه العبودية التي هي حق رب العالمين على عباده كالدعاء، والاستغاثة، والتوكل، والتعلق والخوف، والذل المصاحب للحب، فهذه وغيرها من حقوق الله سبحانه وتعالى».

---

(١) النبراس من فتاوى العلامة محمد بن خليل هراس ص ٦٢، ط - دار الشريعة - القاهرة.

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبدالرزاق عفيفي ص ٣٦٤ - ٣٦٥.

ومن عجائب الأمور أن عُباد القبور كما لم يعرفوا حقيقة التوحيد وحقيقة ما يضاده الشرك، كذلك لم يعرفوا حقيقة «الوهابية» التي يكفرون بها المسلمين.

قال العلامة محمد البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن العامة لا تعرف من مدلول كلمة «وهابي» إلا ما يعرفها هؤلاء الكاذبون، وما يعرف منها هؤلاء إلا الاسم، وأشهر خاصة لهذا الاسم وهي أنه يذيب البدع كما تذيب النار الحديد، وأن العاقل لا يدري ممَّ يعجب؟

أمن تنفيرهم باسم لا يعرف حقيقته المخاطب منهم ولا المخاطب؟

أم من تعمدهم تكفير المسلم الذي لا يعرفونه نكاية في المسلم الذي يعرفونه، فقد وجّهت أسئلة من العامة إلى هؤلاء المفترين من علماء (السنة) عن معنى الوهابي؟ فقالوا: هو الكافر بالله وبرسوله ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥].

أما نحن فلا يعسر علينا فهم هذه العقدة من أصحابنا بعد أن فهمنا ميع عقدهم، وإذ قد عرفنا مبلغ فهمهم للأشياء وعلمهم بالأشياء، فإننا لا نرد ما يصدر منهم إلى ما يعلمون منه، ولكننا نردّه إلى ما يقصدون به وما يقصدون بهذه الكلمات إلا تنفير الناس من دعاة الحق، ولا

---

(١) آثار محمد البشير الإبراهيمي (١/ ١٢٣ - ١٢٤).

دافع لهم إلى الحشد في هذا إلا أنهم موتورون لهذه الوهابية التي هدمت أنصابهم، ومحت بدعهم فيما وقع تحت سلطانهم من أرض الله، وقد ضجّ مبتدعة الحجاز فضجّ هؤلاء[1] بضجيجهم، والبدعة رحم ماسّة، فليس ما نسمعه هنا من ترديد كلمة «وهابي» تقذف في وجه كل داع إلى الحق إلا نواحاً مردداً على البدع التي ذهبت صرعى هذه «الوهابية»، وتحرّقاً على هذه «الوهابية» التي جرفت البدع، فما أبغض «الوهابية» إلى نفوس أصحابنا، وما أثقل هذا الاسم على أسماعهم، ولكن ما أخفّه على ألسنتهم حين يتوسلون به إلى التنفير من المصلحين، وما أقسى هذه «الوهابية» التي فجعت المبتدعة في بدعهم، وهي أعز عزيز لديهم، ولم ترحم النفوس الولهانة بحبّها، ولم ترث للعبرات المراقة من أجلها.

وإذا لم يفهم أصحابنا من معنى «الوهابية» إلا أنه محو البدع، فقد استقام لهم هذا المنطق الغريب على هذا النحو الغريب، وهو أنه ما دامت «الوهابية» هي محو البدع، وما دامت وصفاً لا رجلاً، وما دام كل وصف ككل كسوة عسكرية كل من يلبسها فهو عسكري يُعرف بها، ولا تُعرف به، وما دام المصلحون ينكرون البدع فهم «وهابيون» وإن لم يؤمّنوا للحجاج سبيلاً، ولم يأتوا بابن سعود وقومه قبيلاً».

❊ ❊ ❊

(١) مبتدعة المغرب العربي.

الخاتمة

بعد هذا التوضيح المختصر لنفاسة مصنف «كشف الشبهات»، تبين تحقق الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالعلم، وعظيم نصحه للمؤمنين في دعوتهم لتوحيد رب العالمين، وكشفه لشبهات المبتدعين والمبطلين، وبيان واجب العلماء وطلبة العلم في إشاعة الحق وهداية الخلق، لا بد أن يجتهد طالب العلم في توريث العلم لطلابه، وتكثير سواد الحق وأهله فإنه من أعظم النصح لله ورسوله ﷺ وأئمة المسلمين وعامتهم.

وأحسب أن القارئ وجد أثناء تعليقي على مواضع من رسالة «كشف الشبهات»، النقولات المتوافقة في الاعتقاد لحقيقة التوحيد عن جماعة من العلماء من أقطار مختلفة، والغرض من ذلك بيان توافق أهل الحق في العقيدة، لأن المشكاة التي يتلقون منها واحدة هي: الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح. والإنسان إذا حسن قصده وتحصّن بالأسباب من التضلع بالعلم وحسن الثقة بالله والتوكل عليه، وفزع إلى الصبر فسيجد ثمرة دعوة التوحيد والهدى والسنة، وذلك من وعد الله الذي لا يخلف الميعاد كما أشار إلى ذلك الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما بيَّنا في توضيحنا.

فسارع يا من رزقك الله العلم النافع والبصيرة بالبدع إلى نصح الخلق وهدايتهم ودلالتهم إلى الصراط المستقيم، والله يتولى الصادقين.

والحمد لله رب العالمين

❊ ❊ ❊

دليل الموضوعات

